كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

نساء فى حياة برنارد شو

ه . بيرسون • رفعت نسيم



كتاب الهلال

KITAB. AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايدعياد

العدد ٣٢٨ ـ ربيع الثانى ١٣٩٨ ـ أبريل ١٩٧٨

No. 328 — April 1978

مركز الادارة

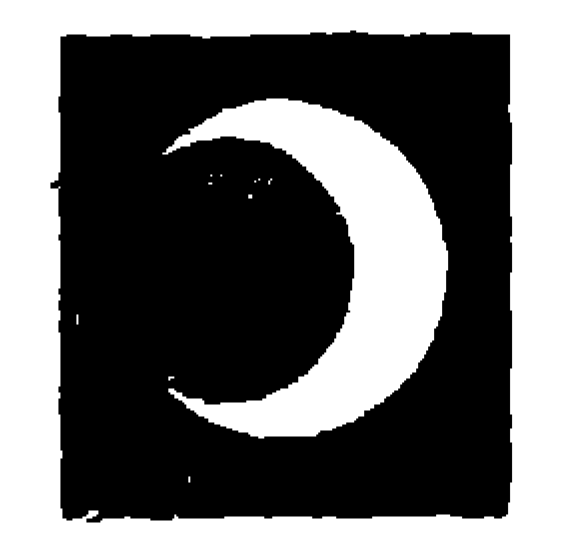
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربى والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا ٠ فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٥ر٢ جك ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية ٠ فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والأسعار الموضحة الجوى والمسجل

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشة
الفنان جمال قطب

نساء في حياة برنارد شو

•

تأليف : هـ . بيرسون
ترجمة : رفعت نسيم
مراجعة: أحمد زكي عبد الحليم

•

دار الهلال

القسم الأول :

تاريخ حياة

لعل من المناسب قبل أن نتطرق الى حديث الحب فى حياة الكاتب الساحر « برنارد شو » . أن نلتقى معه فى رحلة قصيرة عبر تاريخ حياته ، وأهم مواقفه ،ثم ننتقل بعد ذلك الى حياته العاطفية .

ولد برنارد شو فى دبلن فى ٢٦ يوليو ١٨٥٦ (١) .

واذا كان شو قد حقق شهرة عريضة الا أن طريقه عبر الحياة لم يكن مفروشا بالورود والرياحين ، فقد عانى الكثير منذ نعومة أظفاره . وبات على الطوى ليالى وأيام ولكنه أبدا لم ييأس . بل أكثر من ذلك استطاع أن يلتمس طريقه الصحيح فى قلب الظلام ، وأن يفرض نفسه على الأدب الانجليزى ، ويقف عملاقا فى موضع المقارنة مع الخالد العظيم « شكسبير » .

فلقد ولد شو فى بيئة متواضعة . وان كانت أسرته من سلالة فرسان العصور الوسطى . وكان هذا الأصل فى بؤرة تفكير أهله رغم الظروف التى كانوا يعيشون فيها .

(١) جاء فى كتاب « ساحرون ومتطفيون » للكاتب الفرنسى الشهير « أندريه موروا » ان تاريخ ميلاد برنارد شو هو ٢٨ يونيو ١٨٥٦ - « تقديم الدكتور حسين مؤنس » .

ويحكى شو ان والده منعه من اللعب مع أحد الأطفال لأن والده تاجر مسامير وأوان نحاسية ، هذا فى نفس الوقت الذى فرضت الظروف فيه على والده أن يشتغل بتجارة الدقيق !..

وقد تقلب والد شو — ويدعى جورج كار شو — فى عديد من المهن والوظائف ، ولكن الأمر كان ينتهى به دائما الى الفشل .. وكان هو من جانبه يحاول أن يفسر هذا الفشل بسوء الحظ .

أما والدته ، وهى تدعى « ليوسندا اليصابات » ، وكانوا يدللونها باسم بيسى ، فقد عاشت فى كنف قريبة عجوز من الأثرياء . وقد أتاح لها ذلك أن تتربى تربية النبلاء ، وأن تعيش على أمل بالثراء فى المستقبل بعد أن يؤول اليها الميراث . ولكنها تمردت على هذه الحياة وهى فى سن العشرين ، واستجابت لنداء جورج كار شو بالزواج منه ، وكان هو فى الأربعين من عمره فى ذلك الوقت . وكانت تأمل من وراء هذه التضحية أن تسعد بحياتها الزوجية ، ولكنها لم تلبث أن اكتشفت أنها ارتبطت برجل يدمن الشراب ، فأحست لذلك بخيبة أمل فظيعة . ويقول برنارد شو عن والده : كان والدى سكيرا عنيدا . واذا دعى مرة للعشاء لم نكن من المؤكد أن يصل صاحى الذهن واعيا ، ولكن المؤكد هو انه لن يخرج بعد العشاء الا مخدورا بصورة مخجلة .. وربما كان هناك شىء من الطرافة فى سكر مرح ، أما السكر المنقبض فشىء لا يحتمل . وقد كان أبى — من ناحية المبدأ — مقاطعا للخمر ؛ وما كان يجوز له أن يشربها ، ولهذا فقد كان اذا ما وقع تحت اغرائها وعب منها ، ينتابه ضيق وشعور بالخجل وتأنيب الضمير

بصورة كانت تجعل حياتنا غير محتملة .

وعلى النقيض من ذلك . فقد كانت والدة برنارد شو امرأة ذكية ، مرهفة الحس ، تميل الى الموسيقى ، وتحاول الغناء ، وقد ارتبطت بالموسيقى الايرلندى « جورج فندالبرلى » . وقد انتهى الأمر بأن هجرت منزل الزوجية ، وأقامت مع هذا الرجل . وعندما فكر فى الهجرة الى لندن، لم تلبث أن تبعته الى هناك ايضا.

المهم ، ان شو قد ورث عن أمه حب الموسيقى ، واستطاع أن يلتقط من دروس الأستاذ ما أفاده بعد ذلك ، حتى ان أول عمل له فى الصحافة كان : النقد الموسيقى .

وفى وسط هذا الجو ، كان مولد برنارد شو . أنجبت أمه من قبل بنتين ، ثم كان هو الثالث . وفى ذلك تقول برنارد على طريقته المعهودة من السخرية والادعاء :

« ان ميلاد عبقرى يحتاج الى هذه التجربة التى سبقته بولادة بنتين ! .. »

ولم يطل العمر بأحد من هذه الذرية غير برنارد (١).

وهذا العبقرى الذى يتحدث عن نفسه بهذة االهجة المتعالية ، كان تلميذا فاشلا . ولم يقدر له أن يتم دراسته ، فقد وقف له — الجبر — فى الطريق ، ولم يستطع هضم اللاتينية ، ومن هنا كان آخر فصله ، فترك المدرسة والتحق بمكتب سمسار عقارات ! (٢) . وكان مرتبه ١٨ جنيها فى السنة ، ثم ترقى وأصبح صرافا فى المحل ، وزاد راتبه بعض الشىء ، ولكن نفسه

---

(١) برنارد شو : للكاتب الكبير عباس محمود العقاد .
(٢) ساحرون ومنطقيون : ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

ضاقت بهذا الحظ الضئيل ، فترك العمل ، ورافق امه والموسيقى « فنداليرلى » الى لندن .

على ان المفكر المعروف « سلامة موسى » فى كتابه عن برنارد شو ، ينفى سفر برنارد مع والدته الى لندن ، ويقول انها اصطحبت ابنتها معها ، بينما تركت برنارد مع والده . وكان لهذا الموقف منها أبعد الأثر فى نفسية الطفل ... وكان برنارد شو يكرهها . ولذلك لايكاد يذكرها بكلمة طيبة فى جميع ما كتب ، بل انها عندما ماتت، كان يضحك فى جنازتها حتى لامه بعض أصدقائه!.. على أننا لانوافق على هذا الرأى ، فان الرسائل التى تركها شو والتى كان يتبادلها مع مسز باتريك كامبل ، تضم وصفا لجنازة أمه . ويقول فى مقدمة رسالته المؤرخة بتاريخ ٢٢ فبراير عام ١٩١٣ :

« ياله من يوم ، دعينى أكتب لك عنه ، فأنت وحدك التى تستطيعين أن تقدرى حب المرء لأمه ، كما تقدرين حبها لأطفالها ... »

أما القول بأن برنارد شو قد ضحك أثناء الجنازة ، فهذا يرجع الى نظرة السخرية التى واجه بها المراسيم المعتادة فى مثل هذه الظروف ، وهو يقول ما يعنى أن أمه كانت مثله تهزأ بما يحدث . ففى نفس الرسالة نجد هذه العبارة :

« وفى تلك اللحظة تخيلتها تميل نحوى ، وتنفجر ضاحكة فقد وجدنا كومين ، أحدهما تراب ، والآخر رماد العظام . ووجدت أمى تهمس فى أذنى : أى الكومين أكون .. اننى أتعجب ! »

ومن هنا فاننا نرجح تلك الرواية التى تقول بأن برنارد شو قد ذهب مع أمه فى رحلتها الى لندن ، أو على الأقل انه لم يكن يضمر لها أية مشاعر من البغضاء أو الكراهية، فقد كان يرى فيها فنانة مرهفة الحس، شاعرية النبض، وكان لها أن تضيق بالحياة مع رجل يعاقر الخمر، ولا يصنع فى حياته شيئا الا أن يندب سوء الحظ ، ويهرب من مواجهة الحقائق ، حتى أنه دس رأسه تحت الفراش عندما علم أن تجارته قد أفلست ، وكأنه بذلك قد تجنب هذا الموقف تماما !

على أية حال ، لقد ذهب برنارد شو الى لندن وهو فى سن العشرين ، وكان عليه أن يشق طريق حياته ، وأن يسعى بوقته لكسب قوته ، بعد أن ترك تلك الوظيفة الصغيرة المتواضعة فى محل سمسار العقارات . فما هو العمل الذى يمكن أن يقبل عليه هذا الشاب وهو فى هذه السن ، وبعد أن تغيرت ظروف حياته ، فأصبح يعيش فى قلب العاصمة البريطانية ؟..

ان فشل شو فى الدراسة لم يكن يعنى على الاطلاق انه بعيد عن المعرفة ، فقد كان منذ نعومة اظفاره يقبل على القراءة بنهم شديد . ثم انه وهو فى دبلن ـ وكان مازال دون الثامنة عشرة ـ حاول الكتابة فى بعض الصحف هناك . ولذلك فقد كان من الطبيعى انه يتجه الى هذا الميدان بعد أن ذهب الى لندن ..

وكانت البداية صعبة وقاسية ومريرة .. فنحن نجد ان شو لم يستطع أن يكسب من الأدب خلال تسع سنوات عجاف ، تمتد بين سنتى ١٨٧٦ ، ١٨٨٥ الا ستة جنيهات فقط ، وكان بعضها نظير كتابة اعلانات

لاحدى شركات الدواء . أى ان هذا المبلغ الضئيل لم يكن صرفا خالصا من ميدان الأدب .. وكل ماكسبه من الأدب هو خمسة عشر شلنا عن مقال ، وخمسة شلنات عن قصيدة !

ولكن هذا الفشل الذريع خلال تلك السنوات السوداء ، لم يفت فى عضد برنارد شو . كان يقرأ من الصباح الى المساء فى نهم بالغ . وعندما كان يتعب من القراءة والكتابة ، كان يمضى الى متاحف الفن . وكان فى أعماقه صوت قوى لايغيب ، يؤكد له انه سوف يشق طريقه الى دنيا الأدب ، وان مهمته هى البحث عن الأسلوب الجديد الذى يستطيع به أن يفرض نفسه ، وأن يمضى قدما رغم كل المتاعب والمعوقات. وخلال هذه الفترة ، كتب برنارد شو خمس روايات ، وطاف بها على الناشرين لعله يجد فى نشرها نافذة يطل منها على الحياة الأدبية فى انجلترا ، ولكنهم جميعا رفضوا نشر اى رواية من هذه الروايات !..

واذا كان « برنارد شو » نفسه لم ييأس ولم يفقد أمله فى الغد والمستقبل، فان من حوله كان لابد أن يضيقوا به وهو يمثل عبئا على كاهلهم ، فهو لايكسب شيئا يذكر ، وسنه تزحف نحو الثلاثين، دون أن يحقق شيئا.

ولكن « برنارد شو » بعناده الايرلندى ، كان على يقين من ان المستقبل له ، وان هذا الظلام لابد أن ينفرج عن نور ساطع يغمر حياته ، ويضىء أيامه ، ويتوج مستقبله . وكان يبحث عن الفرصة ما وجد الى ذلك سبيلا . وقد تهيأ له هذا عندما انضم الى الجمعية الفابية ليصبح عضوا فيها ، فقد لفتت أسئلته الذكية

أنظار كبار الأدباء والمفكرين اليه . وكان أن حصل في نهاية الأمر على وظيفة ناقد موسيقى ثم ناقد مسرحي ، بفضل صديقه « وليام ارثر » .

وعندما جاءت الفرصة المنتظرة، أعطاها «برناردشو» كل بضاعته . كانت لديه ذخيرة ضخمة نتيجة قراءاته المتعددة من ناحية ، ونتيجة دراسته الموسيقية من ناحية أخرى . وأهم من ذلك انه كان قد حدد أهدافه ، فاتجه في مقالاته النقدية للدفاع عن الفن التقدمي .

على أن الشيء الذي لفت اليه الأنظار هو أسلوبه الفكه اللاذع . وقد عبر شخصيا عن موقفه خلال هذه الفترة ، فقال :

« لكي يسمع الناس ما أقول ، اضطررت الى ان أتكلم على نحو يجعل الناس يتصورون انني مجنون .. مجنون يسمح له الناس بالحقوق والحريات التي يتمتع بها مضحك البلاط ! »

والى جانب ذلك الدور الذي قام به برنارد شو في مجال النقد ، فانه أعطى الحياة الأدبية ثمرات يانعة ، فقد واصل تأليف المسرحيات متأثرا في ذلك الى حد كبير بأبسن . وكانت أول مسرحية مثلت له هي « بيوت العزاب » ، وكان ذلك في عام ١٨٩٢ ، ولكنها لم تحقق نجاحا كبيرا (١) .

وخلال عامين ، استطاع برنارد شو أن يثبت قدميه ككاتب مسرحي كبير ، وذلك بعد أن قدم مسرحيته

---

(١) اشتهرت هذه المسرحية في اللغة العربية باسم « بيوت الأرامل » ولكن الناقد الكبير المرحوم دريني خشبة ترجمها باسم « بيوت العزاب » قائلا ان الترجمة الأولى خطأ ، وأنه لا صلة لها بالأرامل مطلقا ! ..

« السلاح والرجل » فى عام ١٨٩٤ ، وانتقلت شهرته من المجال المحلى الى الميدان العالمى ، فأصبحت مسرحياته تمثل على جميع مسارح العالم . وفى عام ١٩٢٥ حصل « برنارد شو » على جائزة نوبل للآداب .

ويقول «اندريه موروا» ان «برنارد شو » قد استطاع بخياله البعيد وجدة آرائه وبراعة عبارته أن يخلق من المحيط الانجليزى شخصية غريبة تختلف عن كل ما ألفه الانجليز .. شخصية كان برنارد شو نفسه يسميها ج.ب.ش. وهذه الشخصية هى التى كانت تلقى فى الأحاديث الصحفية باجابات عنيفة مضحكة ، وهى التى كانت تقارن برنارد شو بشكسبير ، وتقول ان شو أعظم منه . وليس معنى ذلك ان ج.ب.ش. كان لايعجب بشكسبير ، بل معناه انه كان يرى ان موقف التأليه الذى تقفه انجلترا من شكسبير موقف مهين وغير سليم ، حتى انه كتب مقالا فى « الستر داى ريفيو » يقول فيه : « ليسقط شكسبير ! .. »

وقد اشتهر برنارد شو فى حياته بأنه نباتى لا يذوق اللحوم على الاطلاق . وهو أيضا يكره معاقرة الخمر ، ولايدخن . فهو باختصار قد تجنب كل العادات التى يمكن أن تؤثر فى حياته . ولعل ذلك الموقف كان رد فعل طبيعى لصورة أبيه الذى تمزقت حياته على صخرة الكأس . ومن ناحية أخرى ، فان برنارد شو لم يكن يحفل بالمال كثيرا ، وهذا ما جعله يثابر خلال فترة البداية دون أن يشعر الا بأقل الاحتياجات . ورغم ذلك فان شو كان حريصا على المال فيما بعد . وتفسير ذلك انه كان يخاف أن يتعرض مرة أخرى لتلك الأزمات الطاحنة التى عاشها فى مطلع حياته . ولذلك كان يحرص

على المال ، ليس من أجل المال ولكن خوفا من الأيام .
ويدلل على ذلك ماحدث بعد أن منحته لجنة نوبل جائزتها للأدب فى عام ١٩٢٥ . فقد رفض الجائزة ، وبعث برسالة الى أمين سر اللجنة يقول فيها :

« ان هـــذا المـــال كالعوامة التى ألقيت الى السابح بعد وصوله الى بر النجاة ... » !..

ثم أوصى بأن ينفق مبلغ الجائزة فى توثيق الصـــلات الأدبية والثقافية بين السويد والجزر البريطانية .

وعن تلك السنوات القاسية السابقة ، يكتب برنارد شو بلهجته الساخرة قائلا :

« لا أستطيع القول بأننى ذقت الفقر حقا ، فقبل أن أستطيع كسب شيء بقلمى ، كنت أملك مكتبة عظيمة فى المتحف البريطانى ، وكان لدى اجمل معرض للوحات الفنية قرب ميدان ترافلجار . وماذا كنت أستطيع أن أعمل بالمال ؟ أدخن السيجار؟ اننى لا ادخن .. أشرب الشمبانيا ؟ اننى لا أشرب .. أشترى ثلاثين بذلة من آخر طراز ؟ اذن لأسرع بدعوتى للعشاء فى قصـــورهم أولئك الناس الذين أتحاشى رؤيتهم قدر ما أستطيع .. أشترى خيلا ؟ ان الخيل خطرة .. ســـيارات ؟ انها تضايقنى .. ان لدي الآن من المال ما أستطيع أن أشترى به هـــذه الأشياء كلها ، ولـــكنى لا أشترى الا ما كنت أشتريه أيام كنت فقيرا .. »

وقد قال تشسترتون :

« ان ايرلندا بلد قديسين ، وشو التزم فى حياته طريقا هو أقرب الى الزهد والتقشف ، فقد عاش عزبا لايقرب

النساء (١) ، نباتيا لايأكل اللحم ، ولم يشرب الخمر ، ولا عرف التدخين ، حتى القهوة والشاى حرمهما على نفسه ، لأنه كان يعتقد ان كل استثارة للذهن جريمة اعتداء على الذات الانسانية .. »

وقدكان زواج شو انتصارا للمبادىء التى عاش حياته لها . فقد التقى بالفتاة الايرلندية الآنسة « شارلوت بين تاونسند » وكانت وارثة ثرية ، ضاقت بالفراغ وتفاهة الحياة، فشغلت نفسها بالدعوة الى الاشتراكية. والتقت بشو على هذا الطريق ، وأحبت فيه أشياء كثيرة .. من ذلك شهرته ، وسمعته ، وقلبه الكبير ، واهتماماته الانسانية . وكان أن لازمته . وخوفا على سمعتها من الأقاويل تزوج منها فى أول يونيو عام ١٨٩٨ ، وكان فى ذلك الوقت فى الثالثة والأربعين من عمره تقريبا . وقد ظلت تشاركه رحلة الحياة الى أن توفيت فى أغسطس عام ١٩٤٣ . أما شو فقد واصل رحلة الحياة بعدها وحيدا الى أن توفى فى ٢ نوفمبر عام ١٩٥٠ .

ويبقى بعد ذلك أن نقف على فلسفة برنارد شو الأخلاقية ، باعتبار ان الجانب الأخلاقى هو المحور الرئيسى فى الحديث عن الغراميات والحياة العاطفية . ويقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ان هذه الفلسفة تقوم على أسس ثلاثة هى : ان الغريزة الانسانية تضل وتخطىء .. وان اصلاح خطئها وضلالها من الممكنات ومن الواجبات.. وان هذا الاصلاح يتم بالمعرفة والايثار .

(١) كان هذا قبل ان يتزوج شو ، فقد تزوج بعد أن جاوز الاربعين من عمره ، والراجح فى علاقاته العاطفية رغم تعددها أنه كان لا ينغمس فى الجنس . وأن هذا كان يجعل مكانته ثابتة فى قلوب النساء .

وبعد.. فهذه لمحات سريعة عن حياة برنارد شو، وأفكاره العريضة، ومسرحياته منذ كان يعيش فى دبلن الى أن أصبح علما من أعلام الأدب والفن فى انجلترا، بل وفى العالم كله. وهى عجالة ليس مقصودا بها الدراسة بقدر مانهدف من ورائها الى تقديم تلك الشخصية التاريخية، والتى هى محور المسرحية التى كتبها « جيروم كيتلى » من خلال الرسائل المتبادلة بين شو وبين نجمة المسرح مسز باتريك كامبل.

على أن مسز كامبل لم تكن الحب الوحيد فى حياته. فقد عرف شو الحب أكثر من مرة. وقصص الحب هذه هى ما سوف نستعرضه فى الصفحات التالية...



● ليوسندا اليصابات ● ● الين تيرى ●

نساء فى حياة برنارد شو

هناك حقيقة هامة جديرة بأن تأتى فى المقدمة قبل الخوض فى الحديث عن هذه الغراميات . هذه الحقيقة تقول :

« اذا كانت المرأة لم تحتل المكان الأول فى حياة شو، فانه قد أفسح لها المكانة الأولى فى فنه . وقد جذبه الى عالم النساء ذلك الخيال الخصب أكثر من اندفاعه وراء النزوات العاطفية . وهو منذ كان صبيا ، كان يحلم بالنساء الجميلات ، ولكنه لم يحاول يوما أن يحقق حلما من أحلامه هذه ؛ لأنه كان يزدرى العلاقة الجنسية وينفر منها . وكان اعتقاده الشخصى الذى يؤمن به أن الحب الخيالى أهم من الحب الواقعى ، فالخيال أقوى من الحقيقة . ولا يمكن أن يجد الرجل من خلال الاحتكاك ما يقوم مقام الأحلام الجميلة التى توحى بها النساء من بعيد .. »

ويقول « جون ايرفين » :

« أن استعداد شو لممارسة الحب كان من النوع

(★) تاليف : هـ بيرسون .

البطىء» . وقد ظل حتى بلغ الثلاثين من عمره شاردا ، مغلق القلب ، خجولا ، مستغرقا فى مشاكل العقل والقلب . ومنذ بدأ رحلته الى لندن وهو فى العشرين من عمره ، وهو مشغول بأمر نفسه ، فقد كانت أمه تقضى معظم وقتها فى تدريس الموسيقى ، كما كانت أخته «لوسى» تحترف الغناء فى أوبرا «كارل روزا» المتجولة.

وقد سجل «شو» ــ فى مذكراته اليومية فى الفترة مابين عام ١٨٨٥ ، وعام ١٨٩٧ ــ مغامراته والأحداث التى واجهته فى معارك الحب . وكانت البطلة الأولى فى حياته ممرضة فى احدى المستشفيات، وتدعى «اليس لوكيت». وقد تعرف عليها عندما جاءت لتتلقى دروسا فى فن الموسيقى على يدى أمه . وقد كتب اليها عديدا من الرسائل الغرامية ، وفى احدى هذه الرسائل ، قال لها :

« اذاكنت أنت قد استطعت أن تجعلينى أشعر،
فهل تنكرين اننى أفلحت فى أن أجعلك تفكرين؟ »

والحقيقة ان «شو» كان صادقا فى تحليله، فقد دفعها الى التفكير فى هذه العلاقة . ولما كانت «اليس» تخشى على نفسها من ثورة حبه فقد آثرت فى النهاية أن تبتعد عنه لتكون زوجة لطبيب !..

ولسنا نريد أن نتتبع كل خيط عاطفى من حياة «شو» ، وانما يكفى أن نستعرض هنا أشهر النساء اللاتى ارتبط بهن «شو» عاطفيا... وهؤلاء النساء هن : الممثلة «الين تيرى» ، و « ماى موريس» ، و « آنى بيزانت » .. و « مسز هيوبرت بلاند » ، و « الينور » صغرى بنات كارل ماركس .

● الين تيرى ●

اعتلت خشبة المسرح الانجليزى خلال الربع الأخير من القرن الماضى ، ممثلة عظيمة تدعى « الين تيرى » . وقد استطاعت أن تقف على القمة بجدارة ، فقد كان جمال وجهها لايدانيه ألا فصاحة لسانها ، وذلك الى جانب ذكاء نادر وثقافة واسعة . ونحن نستطيع أن ندرك مكانة «الين» اذا عرفنا ان مجرد معرفتها ــ فضلا عن صداقتها ــ كانت شرفا لا يناله الا الملوك والقادة وعظماء ذلك العصر .

وقد كان برنارد شو احد المعجبين بفنها . وكان يفضل أن يراها فى مسرحيات « ابسن » ، حيث تتجلى كل مواهبها وتتفجر كل طاقاتها الفنية . وقد كانت بينهما رسائل غرامية ، ظلت سرا الى أن طبعت فى عام ١٩٣٦ ، فكانت موضع الدهشة والاعجاب من الناس جميعا ، فيما عدا ابن « الين تيرى » .

والغريب ان العلاقة بينهما بدأت بداية سيئة . فقد حدث أن بعثت « الين تيرى » برسالة الى « ييتس » رئيس تحرير المجلة ، تستطلعه رأيه فى مغنية شابة ، فأعطى رئيس التحرير الرسالة الى «شو» الناقد الموسيقى ليرد عليها ، فأرسل اليها اجابة جافة . ثم حضر بعد ذلك حفلا حركت مشاعره بالقائها الرائع ، وبعد ذلك غنت صديقتها ، فلم يؤثر فيه هذا الغناء . وكان أن كتب اليها :

« حركت الدموع فى عينى ، وأرجو أن تدركى اننى لم اتأثر بحزن المعتوه الوهمى ، فالحزن لايؤثر فى ، حتى

ولو كان حزنا عميقا ، ولـكنك اديت تمثيلا رائعا .. رائعا . وميزتي الوحيدة كناقد موسيقى هى اننى أتأثر بالتمثيل الجيد ، بينما غناء صديقتك لم يترك فى نفسى تأثيرا من أى نوع كان .. »

وبعد هذه الرسالة ، بدأت رسالاته تنطوىعلى شىء من اللطف والرقة . أما رسـالاتها فكانت تسامحا من جانبها . ذلك انه اذا كانت هواية الرجلالعبقرى هى اللهو بالمغازلة ، فان هواية المرأة النابغة هىاللهو بالأمومة .. وهكذا قام كل منهما بتمثيل دوره خير قيام ، ولم يلتقيا الا بعد عدة أعوام ، حيث أخبرها فيما بعد انها حدثته ذات مرة دون أن تعلم من هو ..

وقد وافقت هذه المغازلة الـكتابية مزاج «شو» كل الموافقة، فقد وجد فيها رياضة لخياله وراحة لأعصابه. كذلك فانها هيأت له الاحتفاظ بصداقة متينة دون أن يتعرض للاحتكاك الشخصى وما يمكن أن يتمخض عنه من عيوب .. كان يحب « الين تيرى » على المسرح وعلى الورق ، ولم يكن يرغب فى أن يبدل حلما بحقيقة هو على غير ثقة بها . وقد وجد «الينتيرى» علىالبعد ساحرة ، ثم انه كان فىحاجة اليها منأجل مسرحياته ومسرحيات « ابسن » .

ورغم تحذير«شو» لها منأن مسرحية «رجلالأقدار» ليست احدى مسرحياته العظيمة ، وانها ليست الا عرضا لمعلوماته عن حيل المسرح ، وعينة من عينات تاجر متجول .. رغم ذلك ، فقد وجدتها «الين» مستساغة رائعة . وتوسلت الى «سير هنرى ايرفنج» أعظم ممثلى ذلك العهد ، والذىكان يمثل على مسرح اللايسوم الذى

اشتهر بأنه أعظم مسرح للفن المسرحى فى انجلترا .. توسلت اليه « الين » أن يخرجها . وكان « ايرفنج » حذرا ماكرا ، فلم يشأ أن يخرجها فى وقت سريع ، وفى نفس الوقت لم يشأ أن يعادى «شو» برفض المسرحية ، لأنه كان يفضل المسرحيات القديمة ومسرحيات شكسبير بالذات ، ولأنه كان قد تعود أن يتقـــاضى مبالغا عن مسرحيات تقدم له دون أى عزم على اخراجها .

وأدرك «شو» مناورات « ايرفنج » الذى كان يخشى نقده اللاذع فأسرع الأخير يطلب الى «شو» أن يحضر الى اللايسوم ليباحثه فى أمر مسرحية « رجل الأقدار » . وتمت المقابلة دون احتكاك . فظنت « الين » أن «شو» قد ضعف أمام « ايرفنج » ، فتقدمت نحو الباب تريد الدخول ، ولكنها عندما سمعت صوت «شو» فى الداخل تراجعت . ثم أرسلت اليه خطابا قالت فيه :

«شعرت فجأة اننى لن أستطيع أن أملك عواطفى فى هذه اللحظات. وربما لو كنت قد رأيتك ، كنت طوقتك بذراعى ، وأخذتك بين احضانى.»

ثم أتيحت لها بعد ذلك فرصة لكى ترى «شو» من وراء ستار مسرح اللايسوم ، وقد كتبت اليه تقول : «أخيرا رأيتك.انك لصبى وساذج! وانك لنحيف!..»

وفى ربيع عام ١٨٩٩ ، عندما أصبحت « الين تيرى » جدة لأول مرة ، ادعت انه ليس هناك من يكتب لها دورا يليق بها بعد الآن ، مادامت قد أصبحت جدة. فأخبرها «شو» انه سيخصص لها دورا فى مسرحيته التالية .

وقد نفذ وعده بوضع مسرحية « الـكابتن براسبوند » التى قال لها عنها انه لايستطيع أن يكتب لها مسرحية خيرا منها ، وان الدور يوافقها كل الموافقة ، ولـكنها عندما قرأتها لم تعجب بها ، وكتبت اليه بهذا المعنى ، وقالت له أن دور « ليدى سيسلى » يصلح لمسز كامبل ، فغضب «شو» وكتب لها يلومها لأنه كان معجبا بهذا الدور .

وهكذا ظلت العلاقة الغرامية بين « شو » وبين « الين تيرى » عن طريق المراسلة . وهو يقول :

« ان الرسائل المتبادلة بينى وبين « الين تيرى »كانت علاقة غرامية ترضى حبى وتكفينى . وكان فى وسعى أن ألتقى بها فى أية لحظة أشاء ، لكنى لم أشأ أن أفسد هذه العلاقة البديعة بتعقيدات الممارسة الجنسية .. لقد سئمت هى خمسة أزواج ، ولـكنها لم تسأمنى . »

وقد تبين فعلا انها بقيت على حبه حتى آخر لحظة فى حياتها ، فقد كان آخر ما كتبته هو كلمة تحية له وثناء عليه .

● مـاى موريس ●

وهى ابنة « وليم موريس » ، الذى كان «شو» أحد أصدقائه المقربين . وكان يتردد على منزله حيث يجتمع رجال الفكر فى ذلك العهد . ولم تكن مسز « موريس »

تشترك في مجهودات زوجها الاشتراكية . وكذلك كانت ابنتها الكبرى تترفع عن حضور هذه الاجتماعات . ولكن « ماى موريس » الابنة الصغرى كانت حليفة لوالدها في نزعته الاشتراكية . وكانت تشرف على مائدة العشاء التي كانت تعقب اجتماعات أيام الآحاد ، ثم تتصدرها . وكانت جميلة وأنيقة ، مما كان له تأثير مبهم على « شو » .

وكان غرامه بها يختلف عن غرامياته السابقة واللاحقة . وقد حدث بعد أن جاوزا سن الشباب ، أن طلبت اليه أن يكتب فصلا عن أبيها لتضيفه الى ما جمعته من مؤلفات أبيها ، فاستجاب لها . ووضع بين الأوراق وثيقة خاصة بها .. هى قصة غرامه . ودهشت « ماى » من هذه القصة ، وعرضت الأمر على أصدقائها ، وانتهت الى نشرها حتى تضمن عدم تحريف القصة مستقبلا ، فتكون فضيحة هى بريئة منها وتقول رواية « شو » : حدث هذا مساء يوم الأحد ، بعد أن فرغت من المحاضرة .. وتناول العشاء على مائدة « موريس » في بيته المعروف في « هامر سميث » . ووقفت على عتبة الباب مودعا .. في تلك اللحظة أقبلت « ماى » من قاعة الطعام الى البهو ، ونظرت اليها مبتهجا بجمال ثوبها وروعة منظرها اللطيف الأنسى . ونظرت هى الى بامعان شديد ، وعن عمد أومأت بعينها ايماءة الرضا . وادركت على الفور أن خطبتنا قد تمت في السماء على طريقة أهل التصوف . وان اتمام الزواج لابد أن يتأخر ريثما تنتهى كل العقبات المادية ويكون في مقدورى انتشال نفسى من مهاوى الفاقة والفشل . أما وضعى كعبقرى فلم يكن يخالجنى فيه أدنى شك ، وفي الوقت نفسه لم أكن أشك في انها تعرف أيضا قدر نفسها ، وبالتالى تعرف القدر الحقيقى لكل انسان .

ولم يخطر ببالي اطلاقا انه من الضروري أن اقول لها شيئا بلساني . أما والدها « وليم موريس » ، فلم يكن من اللائق أو من الممكن اجتماعيا أن أذهب اليه وأصارحه بأنني استغللت ضيافته لي في بيته بصفتي رفيقا اشتراكيا لايقاع ابنته الصغرى في حبائل الزواج من شخصي المفلس . وفضلا عن ذلك ، فانه لم يخطر ببالي ان اخلاصي لهذه الخطبة الصوفية السماوية الصامتة ، يمكن أن يتعارض مع علاقاتي بالنساء الأخريات !..

« ويلاحظ ان دخل « شو » في هذه الفترة كان قد وصل الى أربعمائة جنيه في السنة، ولكنه لم يكن ليقاس الى جانب الثراء الذي كان يعيش فيه بيت « وليم موريس » .. »

ويستطرد « شو » قائلا : واذا كنت لم أقدم على الزواج من الابنة الحسناء ، فقد كان في وسعي على الأقل أن أملأ عيني وأبهج قلبي بكل محاسنها ، وأنا خالي البال من التكاليف والقيود ، ولكني لم ألبث أن لقيت جزائي ، اذ علمت فجأة ـ لدهشتي التي بلغت حد الذهول ، ودهشة والدها أيضا فيما أرجح ـ ان الابنة الحسناء قد تزوجت من أحد الرفاق ، وكان هذا المحظوظ يدعى «هنري سبارلنج» ، وهو شاب اشتراكي ألحقه والدها بمطبعة «كلمساوت». والواقع ان ما حدث كان طبيعيا للغاية ، وأن الخطأ كان خطئي أنا وحدي ، لأنني اعتبرت خطبتنا الصوفية السماوية الصامتة أمرا مفروغا منه . ومع ذلك فقد اعتبرت حينئذ ـ وما زلت أعتبر رغم أنف المنطق السليم والبداهة السوية ـ ان زواج « ماي موريس » أفظع خيانة للعهد في تاريخ

الرومانسية كله .. ولاسيما ان « سبارلنج » كان أقل جدارة بها مني ، فهو لايفضلني من الناحية المالية ،كما ان احتمال لمعانه فى المستقبل كان أقل بكثير مما ينتظر بالنسبة لى ... ولو انه كان مؤمنا راسخ الايمان بالاشتراكية ، يدافع بحماسة عن « القضية » وخلقه لا غبار عليه. وهكذا لم يكن امامى الا قبول الأمرالواقع. وبدا لى أن خيالى الذى لايقف عند حد قد خدعنى فى مسألة الخطبة المسجلة فى السماء . على انه لم يلبث أن تبين لى عكس ذلك . فقد أدى الانغماس فى الدعاية السياسية والانهماك فى النشاطات الفنية ، وما يستتبع ذلك من اضطراب التغذية وأحوال المعيشة وأوقاتها عموما ، أدى ذلك الى ارهاق شديد لجسمى وأعصابى ، مما أحوجنى الى راحة عاجلة وتغيير الجو . ودعانى العروسان الشابان للاقامة معهما فترة من الوقت . وقبلت الدعوة، ووجدت نفسيمستمتعا بالراحة وحسن الرعاية فى بيتهما الذى يحمل طابع «موريس» السحرى، لأن «ماى» كانت قد ورثت عن والدها حاسته الجمالية وموهبته الأدبية . وسار كل شىء على مايرام زمنا فى هذه العائلة التى صارت ثلاثية بوجودى .

ويصف «شو» هذه الفترة بأنها كانت فترة سعادة لكل الأطراف . وعندما عوفى من الارهاق ، كان عليه أن يرحل ، حتى لا يظل عالة متطفلا على الزوجين . ثم اذا بزواجهما الشرعى يتقوض وينهار ، شأن كل بناء يقوم على أساس من الأوهام . وصار على اما أن أحول خطبتى السماوية الى زواج حقيقى ، أو أن أختفى من الميدان تماما .

وكان « سبارلنج » يعتقد ويعلن أن صديقه وضيفه « شو » قد خان عهده ، وانه غرر بزوجته ، فلما تم له الاستيلاء على لبها تماما ، اختفى فجأة .

« فلم تكن لديه بالطبع فكرة عن الخطبة المسجلة فى السماء » . والحق أن هذه الخطبة كانت كل مايربطنى « بماى » . فلما صار الاحتفاظ ببراءة هذه الخطبة وطهارتها غير ممكن تعقد الموقف تماما . فالزوج قبل كل شيء صديق وفى . وكان سلوكه معى لا غبار عليه فى جميع الأوقات . واذن فانزوائى ببيتـه ثم سلبـه زوجته عمل يتنافى مع احساسى بالشرف ، ولا يغتفره المجتمع اطلاقا .

ويستطرد «شو» فى حديثه ، مؤكدا انه لم يكن ليلجأ الى مثل هذا الأسلوب . ومظهرا غضبه لفكرة الزواج بالطرق العادية ، فما بالك بزواج أساسه المساومة وفيه شبهة المنفعة المادية ، فان « موريس » كان ثريا ، وما أبعد هذا كله عن الخطبة الصوفية السماوية التى ربطتنى « بماى » ابتداء !..

وانتهى الأمر الى زواج «سبارلنج» من امرأة أخرى، بعد أن فر من «ماى» وقد سعد فى زواجه الثانى كثيرا ، ولكنه مع ذلك ظل يحقد على «شو» الى آخر العمر .

« أما الحسناء «ماى» فقد أخرجته من حياتها ، بل انتزعته من جذوره انتزاعا ، ندما على سوء اختيارها وتكفيرا ، واستردت اسم عائلتها .. ولكنها فى الوقت نفسه ألفت وجودى أنا أيضا من حياتها ، ولعلها خيرا صنعت » !

● المـا مـوري ●

كان « شو » يهيم حبـا وغراما بكل امرأة تعمل فى ميدان الفن ، وبخاصة الممثلة التى تقوم بدور البطولة فى احدى مسرحياته ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على تجنب العلاقات الجنسية قدر الامكان !.. ويؤكد ذلك ماجاء فى الخطاب الذى أرسله الى « الما مورى » زوجة « الفريد فورمان » التى قامت بدور البطولة لأول مرة مثلت فيها مسرحية « السلاح والرجل » .

يقول « شو » فى رسالته :

« لن أقبـل الآن الدعوة التى وجهتها الى لزيارتك والتحدث معك بشأن الدور الذى تقومين به ، فحينما تستطيع امرأة أن تهبنى المتعة التىأوجدها لدى تمثيلك الليلة ، فاننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الاندفاع فى غرامها .. ثم اننى لن أستطيـع احتمال رؤية زوجك « فورمان » مستمتعا بسعادته العائلية » .

وكانت العبارة الأخيرة من دعابات «شو» المأثورة ، وكان يستعملها دون حذر مع كل امرأة يغازلها ، وكان يغازل جميـع النساء تقريبـا ، حيث كان يجد فى ذلك حماية لنفسـه واشباعا لغريزته الخيالية . الا ان هذه المعاملة كانت تترك اثرا سيئا لدى بعض النساء اللاتى كن يختلفن عنه ولا يرضـيهن القليـل . ولذلك كانت انتصاراته الغرامية كثيرة ، وفى نفس الوقت كانت له ضحايا عديدات .

● آني بيزانت ●

وهي واحدة من ضحاياه . وقد كانت «آني» اقدر خطيبة اجتماعية في زمانها . وقد شعرت نحوه بالبغض الشديد عندما التقت به لأول مرة ، لما رأت فيه من مرح وهزل ، حيث كانت على النقيض منه جادة لا تعرف الفكاهة ولا تفهمها . وكانت هذه المرة تبدى حماسة شديدة للمذهب الذى تعتنقه ، ثم لا تلبث أن تسأمه وتمضى الى غيره بنفس الحماسة الشديدة . وهكذا بشرت بالالحاد تحت تأثير «برادلو» . ثم بشرت بالتطور تحت تأثير « أفلنج » ثم بشرت بالاشتراكية تحت لواء « شو » واخيرا انتهت الى التبشير بالصوفية تحت راية « مدام بلافاتسكى » .

وقد حدث في ربيع عام ١٨٨٥ أن كان على برنارد شو أن يلقى خطبة عن الاشتراكية ، فحذره الجميع من خصم عنيد وخطيبة خطرة هى « آنى بيزانت » ، ولكن وقعت مفاجأة مذهلة ، اذ انقلبت الخصومة فجأة الى تأييد عنيف ، حتى انها طلبت الى « شو » أن يزكيها لعضوية الجمعية الفابية .

ودعته بعد ذلك لقضاء السهرة في بيتها ، حيث اشتركت معه في العزف على البيانو . وبدأت في نشر قصصه الطويلة مسلسلة في مجلتها « ركننا » — أوركورنر — ثم عينته ناقدا فنيا فيها ، وعندما دب الخلاف بينها وبين مموليها الرأسماليين بسبب ميولها الاشتراكية ، ظلت تدفع مرتبه من مالها الخاص وهو لايدرى ، الى أن اكتشف الحقيقة ، فأصر على رفع

اسمه من كشف المرتبات ، وواصل الكتابة فى محلتها دون مقابل .

وكانا يظهران على المنابر باستمرار سويا ، وكانت تصحبه عند الانصراف من الندوات الى البيت . والحقيقة ان « آنى » كانت شخصية عظيمة على المنبر، ولكنها لم تكن شيئا يذكر فى حياتها الخاصة . وقد صمم « شو » على أن تكون علاقتهما جدية . ولما كان زوجها على قيد الحياة ولم يطلقها ، فلم يكن أمامهما من سبيل الى زواج شرعى . ولذلك حررت عقدا للزواج العرفى ضمنته الشروط التى يتبعها كل واحد منهما فى معاملته للآخر . وعندما قدمت له العقد لكى يوقعه صاح :

« يا الهى !.. هذا أسوأ من القسم الذى يقسمه الرجل لامرأته فى أى كنيسة على وجه الأرض . كنت أفضل أن أكون زوجا لك على توقيع هذا العقد !.. »

ولم تقبل « آنى » شيئا أقل من عقدها ، وعندما وجدت من «شو» اصرارا على الرفض ، طلبت منه خطاباتها . ولما أعطاها اياها ، ناولته صندوقا كانت تحتفظ فيه برسائله ، وهى تغالب البكاء . وقال لها « شو » :

« ماذا تفعلين ؟ ألا يمكنك الاحتفاظ بها ؟ اننى لا أريدها !.. »

فأخذت الخطابات منه ، وألقت بها فى النار ، وكانت هذه هى نهاية علاقتهما .

كان الفراق شاقا وقاسيا ، لدرجة ان «آنى» فكرت

فى الانتحار ولكنها لم تلبث أن تغلبت على عواطفها ، واستأنفت عملها بعد أن توسط لها «شو» لدى «ستيد» لكى تعمل فى مجلة «بول مول» (١) ولكنها كانت فى حاجة الى دين تبشر به ، فوجدت ان الدعوة الى الصوفية عزاء لها ..

وقد حاول «شو» فيما بعد أن يجدد العلاقة بينهما ، ولكنه عندما التقى بها ، أحس انه فقد تأثيره عليها . وهكذا قطعت بقية الطريق وحدها الى آخر أيام حياتها.

• مسز هيوبرت بلاند •

وبعد تلك المغامرة ، كانت مغامرته الجديدة مع مسز « هيوبرت بلاند » ، التى كانت زوجة لزعيم بارز من زعماء الجمعية الفابية . وكانت شاعرة تكتب القصص الخيالية تحت اسم مستعار ، هو « أيدث نسبيت » وكان زوجها ضابطا متقاعدا عنيدا، وقدمكنته شخصيته وعناده وصلابة رايه من حفظ التوازن داخل مجلس ادارة الجمعية الفابية . وقد استطاع «شو» أن يحتفظ بمودة «بلاند» لأنه كان يعامله نفسيا لامنطقيا ، وعلى أساس هذا الفهم كان يشاركه رياضة الملاكمة وينازله أحيانا . ثم ألحقه

---

(١) اشتغل « شو » ناقدا للكتب لمجلة « بول مول » ، وللفن لمجلة « العالم » وللموسيقى لمجلة « ستار » تحت الاسم المستعار « كورنو دى باستو » ، وللمسرح لمجلة « ستردای ريفيو » .

بالعمل فى احدى الصحف ناقدا رياضيا ، وبعد ذلك أصبح كاتبا استطاع أن يحقق لنفسه شهرة صحفية.

وكانت زوجة «بلاند» رقيقة التكوين ، ولذلك كانت تعانى من قوة زوجها وحيويته البدنية الخارقة ، اذ كان يرهقها بمطالبه الجسدية الملحة والمتلاحقة . كما انه ألقى على عاتقها مهمة « زوجتين اضافيتين » كان عليها أن تساعدهما فى الوضع ومتاعب الأمومة (غيرالشرعية) لأن فحولته الهرقلية لم تكن تكفيها زوجة واحدة يلتزم بالاخلاص لها. وبالتالى فانه لم يكن من العدل أن يطالب زوجته الشرعية بالوفاء له وحده !.. ولم يكن لديها أى تحرج من الوقوع فى غرام «برنارد شو» الذى وصفته بأنه « عادى الوسامة ، ولكنه من أشد الرجال الذين التقيت بهم فتنة وجاذبية » ، ولم تتردد فى التعبير عن مشاعرها نحوه تعبيرا صريحا وواضحا فى قصائدها ، رغم انها لم تكن فى نفس الوقت غافلة عن عيوبه . وقد حاولت أن تجسم عيوبه لتتخلص من تأثيره عليها ، ولكن محاولتها ذهبت أدراج الرياح فى النهاية ، وامتلأت أشعارها بالحديث عن«وجهه الأبيض الذى يثير الجنون». وقد حاول هو من جانبه أن يسوس عواطفها برفق ، وقال تعليقا على ذلك :

« انه من الطبيعى أن يقيم الانسان علاقات ودية مع زوجات أصدقائه . ولكنه اذا كان عاقلا ، يجب أن يخرج الجنس من دائرة هذه العلاقات تماما » .

والحقيقة ان « بلاند » كان يفهم «شو» . ولم يسىء به الظن كما فعل «سبارلنج» . وقد ظل على صداقته له ، حتى أنه عندما حضرته الوفاة بعد ذلك بسنين

طويلة ، وساوره الشك فى كفاية ماخصصه لتعليم ابنه فى جامعة كامبريدج ، قال لابنته :

« اذا لم يكف هذا المبلغ ، فالجئى الى «شو» لكى يتكفل بالباقى » .

أما العلاقة بين « شو » ومسز «بلاند» ، فقد انتهت فى صورة صداقة متينة ومخلصة .

● اليئور كارل ماركس ●

وهى صغرى بنات « كارل ماركس » وكانت جميلة بدرجة تسترعى الأنظار وذات ذكاء خارق . وقد تم التعارف بينهما باعتبارهما رفيقين اشتراكيين . وقامت بينهما صداقة وطيدة ، ولكن قبل أن تتطور العلاقة من جانبها الى شىء أعمق ، ظهر فى الأفق رجل آخر ، هو الدكتور « ادوارد آفلنج » الذى استطاع أن يختطف قلبها ويسلب لبها ، حتى انها أعلمت أصدقاءها انها قررت الحياة معه. وكان «آفلنج» حاصلاعلى الدكتوراه فى العلوم ، وكان متزوجا ولكنه هجر زوجته ، فعاشت « اليئور » معه وهى تظن انه أعزب ، فلما ماتت زوجته عرضت عليه أن يتزوجها ، ولكنه أعرض عنها . وهددته بالانتحار ولكنه لم يكترث . وكان أن انتحرت فعلا !..

● جينى باترسون ●

كانت « جينى » تتردد على والدته لتتلقى دروسا فى الغناء والموسيقى . وعندما رأته لأول مرة ، لم تتردد فى دعوته الى الشاى ، وهناك « اغتصبته » !.. وكان أن فقد عذريته بعد طول تماسك !

ويصف « برنارد شو » هذه الحادثة ، فيقول :

« لقد سمحت لهذه الأرملة المدربة ، الملتهبة الحواس والمشاعر ، أن تهتك عفافى . وكان ذلك رغبة منى فى معرفة هذا الشىء الذى كان يراودنى فضول شديد بصدده ، ولم أكن قد مررت بمثل هذه التجربة من قبل! ولما كنت لا أعتبر نفسى ذكرا جذابا ، فقد أدهشنى فى هذه اللحظة أشتهاؤها لى الى حد هجومها على لتنالنى .. دهشت ، ولكنى استطعت أن أحافظ على المظاهر بنجاح تام ، حتى لايفتضح جهلى . وبعد هذه التجربة ، لم يعد يدهشنى ـ كلما تركت وحدى فى حجرة مع امرأة جياشة العواطف ـ أن أجدها تلقى بذراعيها حول عنقى ، وتصارحنى بأنها تحبنى حب العبادة !

ولما كنت أعتقد أن الخبرة الجنسية « عامل ضرورى لاكمال النمو البشرى » فقد فضلت الحصول عليها من امرأة لديها الكثير فى هذا المضمار ، لتفضى به الى ، وتلقنه دفعة واحدة لشاب جاهل مثلى ، ولذا تركتها تغوينى وتطيح بعفتى من باب العلم بالشىء !.. »

والحقيقة أن « جينى باترسون » لم تكن امرأة نهمة لا تعرف الشبع الجنسى فحسب . ولكنها أيضا كانت بركانا من الغيرة الجنونية . وقد أفاد «شو» كثيرا من

هذه الغيرة فى تصوير تلك المواقف تصويرا واقعيا . ونحن فى ألفصل الأول من مسرحيته « زير النساء » نجده يتخذ من « مسز باترسون » نموذجا يصور به شخصية « جوليا » . كما انه يستوحى تلك المشاجرة الرهيبة التى نشبت بين « مسز باترسون » والممثلة الحسناء « فلورنس فار » ، فيقول :

« اننى خلال تلك المشاجرات لم أكن أفقد أعصابى، بل كنت أحتفظ بضبط النفس ساعات وساعات ؛ ولكن التوتر العصبى الذى تحملته كان مرهقا جدا ولا يمكن ان ينسى . ولم أر « مسز باترسون » بعد ذلك مطلقا ؛ ولا رددت على أى خطاب من خطاباتها وبرقياتها التى انهمرت على كالسيل على مدى الشهور التالية . ولم تغفر لى ذلك . أما أنا فلم أحمل لها أية ضغينة ، بدليل اننى تركت لها فى وصيتى مائةجنيه . وهذه الهبة تركتها لها ، أو كنت أريد أن تنالها منى ، لرقتها على ولطفها خلال اتصالاتنا الحميمة . ولكن شكرى لرقتها شىء ، وشىء آخر أن أقضى حياتى تطاردنى غيرة امرأة لاتتحكم فى مشاعرها ، وتثير شجاراً سوقيا كلما حدثت امرأة أو داعبتها بكلمة مجاملة . والحق انها كانت عارمة الغيرة فى كل شىء لا فىأمورالجنس فحسب. وأنا انسان يجيد ضبط مشاعره ازاء الاساءات العادية ، ولكنالويل كل الويل لمن يتجاوز فى اساءاته حد الاحتمال ، مثل « جينى باترسون » .

● فلورنس فــار ●

كانت سبب القطيعة بين «شو» و «جينى باترسون» ؛ وهى ممثلة أدت دورين رئيســيين فى مسرحيتــين من مسرحيات «برنارد شو» المبكرة. وكانت لها معه علاقات جنسية حميمة . كما انها كانت ذات شخصية فريدة من نوعها . ويصفها « شو » بقوله :

« هى امرأة شــابة من العاملات ، ذات طابع عملى واستقلالى فى الفكر والسلوك . وقد أتاح لها ذلك كله حرية استثنائية فى صلاتها الاجتماعية فى المحيط الفنى بلندن . ولمــا كانت ذكية ، بازعة ، لبقة ، مرحــة ، دمثة ، فاتنة الحسن الى أقصى حد . فانه لم يكن غريبا أن يقع كل أصدقائها الرجال فى هواها . وتواتر ذلك بكثرة حتى ضاق صدرها ونفد صبرها ازاء التمهيدات الأولية المترددة التى يلجأ اليها غير المدربين من عبــاد حسنها . ولذلك فانها عندما كانت تجد أحدهم وقد بدا أن تحدثه نفسه بتقبيلها ، ولكنه متردد لايدرى هل يقبل أو يحجم ، وترى انه غير قبيح أو منفر الى الحد الذى يجعل تعطفها عليه أمرا ثقيلا على نفسها أكثر مما يجب، فانها عندئذ كانت تحسم الأمر لــكى تنتهى من هــذا الازعاج ، فتجر المتيم المتلعثم من معصمه ، وتضمه الى صدرها برفق وتقول له : « قم بنا لكى ننتهى من هذه المسألة ! » حتى اذا فاز المتيم المتلعثم بالقبلة ، وأحيانا بما هو أكثر، قالت له : « الآن وقد هدأ بالك .. لنجلس ونتحدث بصفاء ذهن فى أمور أعم من هذا ! .. »

ولا عجب فى أن يجد «شو» فى هذه «المرأة اللطيفة ،

الودود ، السمحة ، ذات الحاجبين نصف الدائرين » صورة مستحبة تختلف كل الاختـــــلاف عن « جينى باترسون». فالأولى تنظر الى العلاقات تلك النظرة التى يتمناها كل رجل « يستملح » المرأة التى لا يكن لها حبا حقيقيا ، فتعطيه المتعة ، دون أن يعانى من الغيرة أو القلق أو الهم .

وقد عاشت « فلورنس فار » حياة مليئة بمثل هذه الاتصالات. ويقول «شو» انها كانت أطيب قلبا من أن تضن على أى رجل تستلطفه بأى شيء ، ســواء طلبه صراحة أو تلميحا !

وفى نهاية الأمر ، رحلت « فلورنس » الى الشرق ، حيث ماتت هناك .

● شارلوت بين تاونسند ●

فى منتصف صيف عام ١٨٩٦ ، اجتمع بعض أعضاء الجمعية الفابية فى مقاطعة « القديس اندرو » فى مدينة «ساكس» . وكان «سيدنى ويب» وزوجته قد استأجرا منزلا فى تلك المقاطعة ، واستضافوا بعض أصدقائهما ومن بينهم «شو» وفتاة تدعى «شارلوت بين تاونسند»

وكانت هذه الفتاة ايرلندية ، ثرية ، ولكن ثروتها لم تمنعها من أن تكون ذات ضمير اجتماعى ، فانضمت الى الحركة الاشتراكية . وتبرعت بمبلغ ألف جنيه لبنـاء

مدرسة لندن الاقتصادية. ثم كان ذلك اللقاء بينها وبين «شو» حيث كانت بداية الحب المتبادل بينهما . وقد كتب «شو» الى « الين تيرى » يقول لها :

« انضمت الينا مليونيرة ايرلندية ذات عقل راجح ، وشخصية مستقلة ، وقد تنازلت عن مركزها الاجتماعى. انها صيد طيب لأى رجل ، ولكن الله أراد أن يهديها بانضمامها الى عائلة الفابيان ، وقد أصبحت احـدى

أعضائها . سأوقظ عواطفى ، وأتعلق بحبها . اننى مولع بالتعلق بالحب ، ولكن ثقى بأننى سأحبها هى ولن أحب ملايينها . ولتتزوج من غيرى ان استطاعت أن تحتمل أحدا بعدى !.. »

قضى «شو» معظم وقته فى تتمة مسرحية « لن تستطيع أن تعرف». و « يصلح الثقوب فى دراجات السيدات». وكان يمضى أمسياته فى قراءة مسرحياته على المجموعة. كما كان يجد متسـعا من الوقت لتبـادل الحديث مع الآنسة « تاونسند » ، وهما يركبان دراجتيهما ويقطعان بهما مسافات طويلة .

وفى شهر أكتوبر ، بعد أن عاد « شو » الى لندن ، كان قد شغف حبا بالآنسة الايرلنـدية ذات العينين الخضراوين . وبعد ثلاثة أسابيع من اقامته فى العاصمة، كتب الى « الين تيرى » :

« هل أتزوج من مليونيرتى الايرلندية ؟ انها تؤمن بالحرية . ولا تأمن عقبى الزواج ، ولـكن أستطيع أن أقنعها به . وبعدئذ سأحصل على عدة مئات فى الشهر دون مقابل . فهل يمكنك أن تغفرى لى ذلك ، علما بأننى شغوف بها وهى شغوفة بى ؟ لن تستطيعى !.. »

وفى اليوم التالى كتب لها :

« أنها حقيقة لا تحبنى .. فهى امرأة ماهرة تعرف قيمة حريتها . وقد عانت كثيرا من عائلتها ومن التقاليد الاجتماعية قبل وفاة والدتها وزواج شقيقتها ، وهذا ما يدفعها الآن الى الاعتزاز بحريتها . كما انها تتمتع بقوة ثروتها . وهى ترى فى الزواج جنونا . كانت قد أحبت منذ سنوات ، وأخفقت فى حبها ، فحزنت . ان عواطفها حادة ، ولما أتيح لها قراءة كتابى فى تعاليم « أبسن » ، ظننت انها وجدت فيه رسالة الخلاص والحرية ، ومصدرا للفرح والاحترام الذاتى. وبعد ذلك قابلت المؤلف الذى هو كما تعرفين يستطيع أن يجعل محتملا ككاتب خطابات . وهو أيضا زميل لابأس به على الدراجة ، وعلى الأخص فى منزل ريفى لا تجد غيره . لقد أغرمت بى ، ولم تتدلل أو تتظاهر بغير مشاعرها ، وقد تعلقت بها لأنها كانت معينى هناك . لقد جعلت قلبى رحيما ، فأحببت جميع الناس ، وكانت هى أقرب الناس وأفضلهم .. هذا هو وضعى ، فماذا يقول قلبك عديم الحب فى ذلك ؟ »

وقد أجابت « الين تيرى » على هذه الرسالة بقولها :

« لست ذكية ، ولم أكن ذكية فى يوم من الأيام . وأحيانا حينما أنظر اليك ، أتمنى الا أصبح ذكية. لأنك تكون شريرا . ولن يكون فيك شىء صالح ، اذا تزوجت عن غير حب . أما المرأة فانها قد لا تحب قبل الزواج ، ثم تتعلق بزوجها ، اذا لم تكن قد أحبت غيره قبل ان تتزوج » .

ومع ذلك فانه لم يقرر شيئا . لم يكن يخشى المرأة ،

ولكنه كان يخشى الزواج ، مع انه كان فى الاربعين من عمره ، مربا . وكانت المشكلة المادية هى أهم الموانع ، فقد كان يتقاضى ستةجنيهات أسبوعيا من « الستردای ريفيو» ، بينماكانايرادها ضعفهذاالمبلغ اثنىعشرةمرة ، وقد ظل محتفظا بصداقتها ، وتوثقت عرى الصداقة بينهما ، وسقطت الكلفة فكانت تقول له : « يالك من شخص شاذ » .. أو « انك فظ غليظ القلب » حسبما تكون المناسبة . وفى نهاية العام ، كتب الى « الين تيرى » يصفها :

«مس ب. تاونسند امرأة هادئة، ذاتعينينخضراوين. سيدة محترمة تأثرت بآرائى الى حد بعيد وعميق. وهى حرة لا ترتبك . واذا تحدثت اليها ، فلن تجديها امرأة عادية . »

وفى بداية عام ١٨٩٨ . أصبحت « مس تاونسند » سكرتيرة له ، فكان يملى عليها مقالاته ، وكانت تمرضه اذا شعر بتعب . وكان يقضى أغلب أوقات فراغه فى بيتها ، ثم يخرجان النزهة على الأقدام معا .

وفى مارس من تلك السنة ، تركت انجلترا فى رحلة حول العالم مع « سيدنى ويب » وزوجته ، ولكنها لم تذهب الى أبعد من روما ، فقد وصلت الى «مسزويب» برقية من «جراهام والاس» تحمل خبر مرض « شو » وسوء حالته، وعدم وجود من يعنى بهفىمنزله البغيض. وقد نصحت « مسز ويب » صديقتها بالعودة الىلندن، ولم تكن «مس تاونسند» فى حاجة الى تلك النصيحة ، فقد ركبت أول قطار وعادت الى لندن .

وعندما ذهبت « مس تاونسند » الى منزل «شو» ،

فزعت من منظر البيت . فقد وجدته فى حالة سيئة للغاية . ووجدت ان افضل حل هو أن تستأجر منزلا قريبا من بينه ، وتنقله اليه حتى تستطيع أن تعتنى به بنفسها . ولكنه رفض هذا العرض ، حتى لايسيء الى سمعة صديقته والى مركزها الاجتماعى . وكان رأيه هو أن يتزوجها أو يبقى فى منزله، وانتهى الأمر بالاتفاق على الزواج .

وفى أول يونيه عام ١٨٩٨ ، عقد زواجهما فى مكتب التسجيل ، وقد حدث أن تمزقت سترة « شو » وهو يتكىء على عكازه فى طريقه الى مكتب العقود الزوجية. ولم يحضر عقد الزواج الا الصديقان « جراهام والاس» و « هنرى سولت » . وقد كتب « شو » عن هذا الموقف فقال :

« لم يخطر ببال المسجل اننى العريس ، وظن اننى المتسول الذى يتبع موكب الزواج عادة ، وكان «والاس» مديد القامة ، فظنه بطل الحادث . وكان على وشك أن يعقد له على خطيبتى ، ولكن «والاس» رأى ان الموقف يزداد حرجا ، فتنحى فى آخر لحظة ، وترك لى الجائزة » .

وعاش « شو وشارلوت » حياة زوجية دامت أكثر من خمس وثلاثين سنة دون أن تتم بينهما علاقة زوجية طوال هذه السنين . وفى هذا يقول « جون أرفين » :

« انه لايوجد احتمال على أن زواج «شارلوت» قد تم على الصورة التى كانت تشتهيها عشيقات «شو» . فقد كانت المسكينة تستشعر الفزع كلما فكرت فى العلاقات الزوجية الحسية ، ومع ذلك فقد كانت تنتابها نوبات من الغيرة الشديدة كلما سمعت جديدا عن مغامراته مع « باتريك كامبل » أو غيرها من المعجبات ..

● مسز باتريك كامبل ●

كانت قصة غرام «شو» بها حدثا خطيرا . فقد كان جادا فى حبه بهدف خلق شخصية « أليزا دوليتل » بطلة مسرحيته الكبرى « بيجماليون » . وقد حرص «شو» على أن يمطر « مسز كامبل » بسيل من الرسائل التى تفيض عذوبة ورقة واغراء ، حتى يستخلص من أعماقها جوهر الشخصية المنشودة فى مسرحيته .

وقد بدأت هذه العلاقة ، عندما كان « شو » فى السادسة والخمسين من عمره ، بينما كانت «مسز كامبل» قد بلغت السابعة والأربعين . وكانت قد استطاعت أن تحتل مكانة مرموقة ورفيعة فى عالم المسرح ، حتى انها توجت ملكة للمسرح الانجليزى . وكان مشهودا لها بالجمال والذكاء . ومن نوادر ذكائها ان أحدهم اقترح على «شو» ـ والمعروف عنه أنه كان نباتيا ـ أن يتناول قليلا من اللحم حتى « يسرى الدم القانى فى عروقه» ، فما كان من « مسز كامبل » الا أن اعترضت على ذلك بقولها :

- « لا تفعلوا ذلك بحق السماء ، فان لديه من اللحم الفاسد ما يكفيه .. واذا حدث أن حصل على مزيد منه ، فان أى امرأة فى انجلترا لا تأمن على حياتها منه ! »

وخلال الفترة التى تبادلا فيها الرسائل ، كان «شو» سعيدا فى زواجه ، أما هى فكانت قد تزوجت للمرة الثانية بعد فترة من الترمل . وعندما تحدثت عن عائلتها ، وصفتهم بأنهم جميعا خياليون ، فقد فرت احدى عماتها



● مسز باتريك كامبل ●

من المدرسة لتتزوج ، وتسلقت عمة ثانية المدفأة لكى تهرب مع فنان كان شديد الغيرة عليها حتى انه خنق عصفورها لأنها كانت تطعمه من فمها . اما هى نفسها فقد هربت وهى فى سن الثامنة عشرة مع شاب صغير يدعى « باتريك كامبل » وانجبت منه طفلين ، فى وقت لم يكن لديهما فيه الا الحب ووظيفة صغيرة تدر عليهما مبلغ ٥٠٠ جنيه فى السنة . وقد سافر زوجها الى استراليا ، ثم الى جنوب افريقيا ، حيث قتل فى حرب البوير .

وعندما اعتلت « ستيلا » خشبة المسرح ، استطاعت أن تحقق نجاحا رائعا وساحقا خلال فترة قصيرة للغاية ، وقد بلغت قمة نجاحها فى مسرحية « زوجة تانكرى الثانية » . وقد أعتبرها الناقد «جيمس أجيت» واحدة من أعظم ست ممثلات . وقال عنها ناقد الدراما « الان دنت » : « لقد التقيت بها عندما كانت فى أواخر الستينات ، وما زالت عليها آثار ملحوظة من الجمال الرومانتيكى . أما صوتها العميق ، فكان كأنه ينبعث من بئر ذهبية » .

وكان النقاد يصطفون على هيئة كورس ، يتملقونها ويطرون جمالها الايطالى الأسمر . ولم يشذ عن هذا الاجماع الا ناقد واحد هو « برنارد شو » ، الذى كتب عنها فى عام ١٨٩٦ ، يقول :

« لو ان « مسز باتريك كامبل » اعتمدت فقط فى التمثيل على مواهبها الجسدية التى لا تقاوم ، ونظرتها الماكرة ذات التأثير السطحى على الجماهير ، لكان ذلك كفيلا بأن يجعلها تبدو ساذجة وسخيفة ، كما بدا لى

وهى تؤدى دورها . كما ان فشلها سيكون واضحا للجماهير كما كان واضحا لى تماما !.. »

ولكنه أردف تعليقه بكلمة مجاملة حين قال :

« ... غير انها ممثلة بارعة براعة المرأة التى تسلك الخيط فى سم الابرة بأصابع قدمها » .

وبعد ستة عشر عاما من هذا النقد العنيف ، كان اللقاء بين «شو» و «ستيلا» . وفى ذلك الوقت ، كان «شو» قد أصبح كاتبا مسرحيا مشهورا. وكانت المناسبة التى جمعت بينهما هى قراءته لمسرحيته الجديدة «بيجماليون» عليها . وقد كتب الى صديقه « جرانفيل باركر » يصف هذا اللقاء ، فقال له :

« لقد تركتنى وأنا غارق حتى أذنى فى حبها .. حبا قويا وعنيفا لم يدع لى فرصة للتفكير حتى فى أعمالى.. حبا يطرق أبواب قلبى وأنا على مشارف السادسة والخمسين » .

وبدأت الرسائل بينهما .. كانت رسائله فياضة ، وكلماته تعبر عن ذكاء شديد وموهبة أدبية مصقولة . اما رسائلها فكانت قصيرة وضعيفة من حيث الصياغة. ولكنها كانت تعرف كيف تستعرض عضلاتها بين الكلمات. وكان خطابها الأول الى «شو» رقيقا ومهذبا ، وقد كتبته تعليقا على دورها فى مسرحية «بيجماليون»، وقالت فيه :

عزيزى « شو » ..

أولا .. أشكرك لأنك أطلعتنى على مسرحيتك وفكرت فى اننى أصلح لدور تلك الفتاة القذرة .. اننى أتساءل

حقا : هل أستطيع أن أكون مصدرا لسعادتك ؟..
المخلصة : ب . س . كامبل

* * *

ولم ينقض أسبوع واحد على هذه الصداقة ، حتى أدرك كل واحد منهما أن مزاجهما الحاد سوف يؤدى الى صدام بينهما . وبالفعل نشب بينهما خلاف حول الممثل الذى سوف يقوم بدور « الأستاذ هيجنز» ولكن المسائل المادية كانت الخيط الذى ساعد على دوام المراسلة بينهما . وقد حاول فى رسائله الادعاء كذبا بأنه لا يفهم شيئا فى الأمور المادية ، ولكن مع تبادل المراسلة، أدركت « ستيلا » بذكائها حقيقة « شو » ، ومن ثم استطاعت أن تخفف من حدة الصدام بينهما .

ثم حدث فى صيف عام ١٩١٢ ، أن أعلنت « ستيلا » انها لن تقوم بدور «اليزا» بطلة مسرحية «بيجماليون» ، ثم سافرت الى « اكس ليبان » لقضاء أجازتها . وفى نفس الوقت ، سافر « شو » الى المانيا لقضاء اجازته هناك مع زوجته «شارلوت» ، والتى كان يطلق عليها دائما اسم «ذات العيون الخضراء» .. وربما كانت هذه التسمية بسبب انها لم تكن تحمل أى عاطفة نحو أى ممثلة تكون لها صلة ما بزوجها . ثم سافر بعد ذلك الى فرنسا لقضاء فترة أخرى من الوقت هناك . وعندما عاد ، انكب على العمل حتى انتهى من كتابة مسرحية « قيصر وكليوباترا » وهى المسرحية التى قامت فيها « مسز كامبل » بدور البطولة مرة واحدة .

وكانت «ستيلا» تطلق عليه فى تلك الأيام اسم «جوى»

ـ كنية عن المهرج ـ كما انها أصبحت أكثر صراحة معه ، فكانت تخبره بكل ما فى أعماقها من أفكار وخلجات.

وفى فبراير عام ١٩١٣ ، ماتت أمه عن ثلاثة وثمانين عاما. وقد كتب الى «ستيلا» عن أمه . فقال فى رسالته:

« لقد عشنا سويا حتى بلغت الثانية والأربعين من عمرى . ولم يحدث بيننا أى احتكاك . وعندما وافتها المنية ، بدأت أفكر جديا فى علاقتنا ؛ فتبين لى اننى لا أعرف الكثير عنها » .

وجدير بالذكر أن « شو » وافق على اقامة شعائر الصلاة على أمه فى الكنيسة ، رغم انه هو وأمه لم يتوجها يوما من الأيام الى الكنيسة . وكان غرض «شو» من وراء ذلك هو أن يعرف مدى تأثير اقامة هذه الطقوس عليه. وقد سجل مشاعره فى رسالة بعث بها الى «ستيلا» ، وهى موجودة فى سياق مسرحية «حبيبى الكذاب». أما «ستيلا» فقد ردت على رسالته بخطاب « غير متوقع » حيث كتبت له تقول :

« ذهبت الى حديقة الحيوان ، ودللت « شيتا » وقبلتها ، وأطلقت زئيرا فى وجه الأسد ؛ وربت بيدى على البطريق ..

انه يوم هادىء .. يوم لاترى فيه ممثلتك المحبوبة. وقد فكرت طويلا بعد أن واجهت نفسى .. فماذا كانت النتيجة ؟ وجدت اننى أحب الاحساس .. الاحساس بالحب ، بالشباب ، بالدين ، بالأطفال وحماسة رعايتهم ، وفى آلاف الأشياء . أوه عزيزى .. أوه عزيزى .. عزيزى .. عزيزى .. كل الطرق تؤدى الى تلك الفجوة

فى الثرى ، أو الى ذلك الباب المؤدى الى الموقد .

أنا من تبقى لك ..

« ستيلا »

وقد أجاب شو على رسالتها برسالة أخرى فى نفس اليوم ، وقد قال فيها :

« أيها القلب المتحجرالقاسى، خاطفة قطعة الخبز من الطفل الجائع .. ما نوع قلبك؟ وكيف يتسنى لصدرك أن يضم مثاله ؟ ألا تعلمين ماذا يعنى قلبك بالنسبة لى؟ انني أريده ، ولا يطاوعنى قلبى نبذه . أريد أمى العذراء أن تعتلى عرش السماء . أريد أمى الفلاحة الايطالية . أريد رفيقتى البائسة . أريد سيدتى السمراء . أريد ملاكى ، أريد شيطانى . أريد «فريا » ومعها تفاحاتها . اريد مشعلا بمصابيحه السبعة : الجمال ، والشرف ، والمرح ، والموسيقى ، والحب والحياة ، والخلود . أريد ملهمتى ، وحماقتى ، وسعادتى ، وقدسيتى ، وجنونى ، وانانيتى ، وعقلى وطهارتى ، وربى ، ونورى عبر البحار ، وسفينتى عبر الصحراء ، وحديقتى المليئة بالورود الجميلة وملايين الأفراح المجهولة ، وأجر يومى ، وحلم ليلى ، وحبيبتى ونجمى ..

حسن . سأبقى بعيدا ، وسأنس وسأكدح ، وسأطحن المقالات والخطب خارج اطلال معابدى . وأدوس الأوراق المتساقطة من أشجارى . سأقوم بواجبى ، وأخفف وقع الأمر بضحكة مكتومة .

الجمعة ، السبت ، الأحد ، الاثنين .. لا وقت ،

لا فرصة ، لا احتمال . أركان الخلود الأربعة ياقاسية ، قاسية ، قاسية ، قاسية .. أليس لك قلب ؟

ج . ب . ش

وفى ربيع عام ١٩١٣ ، وصلت العلاقة الغرامية الى ذروتها . ولم يعرف تماما طبيعة تلك العلاقة ، فقد أصر «شو» على ان علاقته مع « مسز كامبل » كانت بريئة للغاية .. أما « مسز كامبل » فقد كتبت فى يومياتها :

« رغم كل ما كتبه أو قاله مؤكدا انه ليس فىالوجود سوى غرامه ، الا ان عمله ، ومحاضراته السياسية التى لاتنتهى ، وكذلك اجتماعاته ، وبيته أيضا ، كانت تأتى دائما فى المقدمة وقبل اى شىء آخر . وكان « شو » يحرص على الا يتأخر عن زوجته «شارلوت» عشردقائق، مهما كانت ارتباطاته .. »

وعقب الحرب العالمية الأولى ، بدأت « ستيلا » فى كتابة مذكراتها . وقد عرض عليها احد الناشرين مبلغ الفى دولار مقابل أن تضم مذكراتها الرسائل الغرامية التى تلقتها من بعض الشخصيات البارزة ولكن حقوق النشرمنعتها من استغلالجميع الخطابات ، عدا خطابات «جيمس بارى شو » . وقد أرسلت الى « شو » خطابا تستأذنه فى نشر رسائله وكان ذلك بداية لسلسلة من المشاجرات بينهما . حيث كتب اليها متسائلا :

« ماذا كتبت ؟ حياتك أم حياتى .. أم كليهما ؟.. »

وفىعام ١٩٢٢، صدركتابها « حياتى وبعضالرسائل»

وقد ضمنته مختارات من خطابات « شو » . وأضافت اليها « خطابات لم أرسلها له » . وبعد ذلك عاشت « مسز كامبل » مدة ثمانية عشر عاما ، تعتبر فترة كئيبة فى حياتها . ولم تحقق أى نجاح يذكر الا قيامها ببطولة مسرحية « الأم المتسلطة » فى عام ١٩٢٩ . وبعد ذلك رحلت الى هوليود ، حيث قامت بأدوار صغيرة فى أفلام لم تحقق أى نجاح . وقد كتب « الكسندر وولكوت » عنها قائلا :

« انها تشبه الباخرة التى تغرق الى الأعماق ، بينما حرق لهيبها كل من يحاول انقاذها !.. »

وقد توفيت « مسز باتريك كامبل » فى عام ١٩٤٠ ، وقبل ذلك بعام واحد، كان «شو» قد أعاد بعض الرسائل الى « حبيبتى ستيلا » وهى الرسائل التى تناولت الأحداث الأدبية والفنية والشخصية على مدى نصف قرن ، والتى التقطها الكاتب والممثل المسرحى « جيروم كيلى » وصاغ منها هذه المسرحية بعنوان « حبيبى الكذاب » .

وهذه المسرحية تعتبر فريدة فى نوعها فى الأدب العالمى ... فهى مكونة من فصلين . والبطولة فيها لممثل وممثلة دون أن يشاركهما أحد خشبة المسرح . والممثل يقوم بدور « برنارد شو » ، والممثلة تقوم بدور السيدة «باتريك كامبل» . وهما يرويان قصة حبهما من خلال تقليب الرسائل . ومن خلال قصة الحب ، يقف القارىء على كثير من الحقائق المتعلقة بحياة «برنارد شو» وكذلك حياة «باتريك كامبل» . وقصة مسرحيات «برنارد شو» وكيف كان يقرؤها ...

والبطل والبطلة فى هـذه المسرحيـة ، يقدمان عرضا لمشاهد تتناول معظم الشخصيات التى ابتدعها « برنارد شو» فىمسرحياته ، وبخاصة فى مسرحيته«بيجماليون» ، وهى المسرحية التى أهداها الى صـديقته « ستيلا » ورسم لها فيها دور « اليزا » .

* * *

ومسرحيته « بيجماليون » تدور أحداثها حول فتاة سوقية كانت تقف عند باب المسرح الكبير ، لتبيع أزهار البنفسج . وأثناء تجوالها سقطت السلة من يديها بعد أن اصطدمت برجل أنيق، وكان هذا الرجل هو الأستاذ « هنرى هيجنز » خبير اللغات والمتخصص فى دراسة اللهجات . وقد واجهت « اليزا » هذا الموقف بصيحات الاحتجاج والشكوى ، فبدت ألفاظها سوقية ، حتى انها خدشت سمع الأستاذ « هيجنز » . وصاح هو الآخر طالبا اسكات هذه المخلوقة التى تهين اللغة الانجليزية. وكان يقف معه صديق ، فدار بينهما حوار أنتهى الى ابداء استعداده بأن يستطيع أن يخلق من هذه التافهة الحقيرة دوقة تنحنى لها لندن كلها ، وذلك خلال ستة أشهر فقط ..

وهكذا التقى النقيضان ..« اليزا » الفقيرة الجاهلة بائعة الأزهار ، بنت السكير العاطل . و « هيجنز » الأستاذ العظيم ..

ولم تكن « اليزا » تحلم بأن تصبح دوقة . وانما كان حلمها الكبير هو أن تقوم ببيع الأزهار فى أحد المحلات ، بدلا من التسكع بسلتها فى الطرقات . وكان هذا الحلم

عزيز المنال بالنسبة لها ، فهذا العمل يتطلب فتاة مهذبة، تجيد فن الحديث ، وتستطيع أن ترضى الزبائن بالكلمة الحلوة والابتسامة المشرقة .. على ان الحوار الذى دار بين الأستاذ « هيجنز » وصديقه ظل يتردد صداه فى أذنيها .

وكان أن ذهبت اليه فى اليوم التالى . وتصادف أن كان معه فى ذلك الوقت صديق من خبراء اللهجات جاء من بلاد بعيدة ، ودخلت الفتاة عليهما لتساوم الأستاذ أن يعلمها فن الحديث . وفوجىء الزائر بهذه الفتاة ، وأكد الأستاذ « هيجنز » انه لن يستطيع أن يفعل شيئا بالنسبة لفتاة على مثل هذه الدرجة من السوقية . ولكن « هيجنز » تحدى زميله ، وتراهن معه على انه يستطيع أن يجعل منها أميرة خلال ستة أشهر فقط .

ومنذ ذلك اليوم ، أقامت « اليزا » فى بيت الأستاذ ، لتكون تحت اشرافه ورعايته دائما . وعهد الى الخدم بمهمة تدريبها على أصول المشى وآداب المائدة وقواعد السلوك الاجتماعى . بينما تولى هو مهمة تدريبها على النطق ، وحسن التعبير ، وفن الالقاء .

وقد وجد الأستاذ «هيجنز» صعوبة بالغة فى البداية، ولكنه تذرع بالصبر، حتى استطاع أن يجتاز بها عقبات التمرد ومحاولة معاودة سيرتها الأولى بدلا من تلك التكاليف الشاقة والعسيرة ، وهى التى تعودت أن تتصرف من قبل بلا أدنى تفكير وبكل تلقائية . وبعد فترة ، كان عليه أن يجرى تجربة على حصيلة هذه الدراسة ، فاشترى لها فستانا أنيقا ، وأخذها معه الى سباق الخيل حيث يتردد أبناء الطبقة الراقية . وكانت

التجربة ناجحة ، فقد لفتت « اليزا » الأنظار ، وتهافت عليها الشبان. ولكنهم ماكادوا يتبادلون معها الأحاديث ، حتى خرجت عن النطاق المحدود وتصرفت بتلقائية كشفت عن حقيقتها !

ولكن الأستاذ لم ييأس . عاود تدريبها وفتح أمامها المجالات المختلفة الثقافة لتكون لديها القدرة على مجاراة المجتمعات فى الموضوعات المختلفة ، لتكون بحق سيدة من سيدات الطبقة الراقية ، وبينما كان الأستاذ مشغولا بهذه المهمة ، كان قلبها قد تفتح على حب الأستاذ ، بعد ان وجدت فيه مثلا أعلى تطمح اليه . وبطبيعة الحال لم يكن الأستاذ يدرى شيئا عن هذه العاطفة الوليدة . وكان كل ما يشغله هو ان يعاود التجربة ، وأن يحقق فيها النجاح الكامل . وكانت التجربه الجديدة فى حفل تقيمه احدى السفارات الكبرى حيث يحتشد أبناء الطبقة الراقية ورجال وسيدات السلك الديبلوماسى . وفى تلك الليلة ارتدت « اليزا » ثوبا آخر رائعا ، وتحلت بأغلى المجوهرات . وما كادت تدخل من الباب ، حتى تطلعت اليها العيون ترمقها فى اعجاب ، وسعى اليها الرجال جميعا يخطبون ودها ويتملقونها بالكلمات الرقيقة . وكانت المفاجأة عندما بعثت الملكة فى طلبها ، لتطلب منها أن تفتتح حفل الرقص مع ابنها الأمير . فانحنت تحية للملكة ، وتأبطت ذراع الامير ، وأخذت ترقص معه فى براعة ورشاقة كأنها أمضت عمرها كله ترقص .

وكانت زوجة السفير فى حيرة من أمر هذه الفتاة . وعندما سألت عنها الأستاذ «هيجنز» أنبأها بأنها زائرة

وفدت حديثا الى لندن ، ولم تقنعها هـــــذه الاجابة الغامضة ، فلجأت الى مستشارها طالبة منه أن يتحرى عن هذه الفتاة ، وكان هـــــذا المستشار أحد تلاميذ « هيجنز » فى اللغات ، فعاد الى السفيرة ليؤكد لها ان هذه الفتاة ليست انجليزية ، ولكنها فى الحقيقة أميرة مجرية . وبسرعة البرق انتشر هذا الخبر بين صفوف المدعوين ، وهكذا انتصر « هينجز » فى تجربته انتصارا ساحقا نال عليه الرهان . وبدا سعيدا جدا بعد أن أثبت عبقريته ، ولم يحاول أن يبدى اهتماما بهذه الفتاة ، وكأنها ليست آدمية وانما مجرد تجربة .

وعندما انصرف الأستاذ « هيجنز » الى فراشـــه ، وتركها وحدها ، بدأت تفـكر بمصيرها ومســـتقبلها . ووجدت انها قد وقعت فى مأزق عتيد . انها لا تستطيع بعد أن تفتحت عيناها على الدنيا الواسعة أن تعود الى الشارع لتبيع الأزهار كما كانت تفعل من قبل ، وهى أيضا لا تجد لها مكانا فى الحياة الجديدة التى عرفتها . وأخذ منها الألم وعذبتها الأشجان وبخاصة بعد أن أهمل الأستاذ «هيجنز» وجودها تماما ، فجلست تبكى حيرتها وعذابها . ثم فوجئت بالأستاذ يترك غرفته ليبحث عن « الشبشب » ، فوجدها جالسة . فطلب منهـــا أن تبحث له عنه ، ثم تذهب الى فراشها . ولم تكن لديها قـــدرة على احتمال المزيد ، فتنـــاولت « الشبشب » وقذفته به فى قوة وعنف تعبيرا عن ضيقها ، وأصابت الدهشة الأستاذ « هيجنز » ، وعندما حاول أن يقف منها على أسباب ضيقها ، اكتشف الحيرة التى أصبحت فيها ، فطلب منها تأجيل بحث هذا الموضوع حتى الغد.

ولم تنتظر « اليزا » حتى الغد ، فما كاد يأوى الى فراشه حتى تسللت هاربة من البيت ، لاتلوى على شيء. واكتشف الأستاذ « هينجز » ذلك فى الصباح ، فأحس لفراقها بوحشة ، وشعر ان حياته أصبحت خاوية بعد أن كانت مليئة بوجودها ، وأدرك انه فقد تلك الحلية الرائعة التى صاغها بيديه . ولم يكن أمامه من أحد يبثه حقيقة ما تنطوى عليه ضلوعه سوى أمه ، فذهب اليها فى قصرها ، ونفض أمره بين يديها . فسألته عما اذا كان يحبها ، فأجاب بأنه لايدرى ، ولكن الذى يدركه حقا هو انه لا يستطيع أن يستغنى عنها .

وكانت المفاجأة .. فان « اليزا » عندما تركت بيته ، لم يكن أمامها الا أن تذهب الى بيت أمه التى تعرفت اليها فى الحفل ، وكانت تقف بعيدا عن ناظريه تستمع الى الحوار الدائر بينه وبين أمه ..

وظهرت « اليزا » ، لتعود مع الأستاذ « هينجز » الى بيته ، وتكون حلية أيامه وحياته .

* * *

هذا هو موجز سريع لأحداث مسرحية «بيجماليون» وهى المسرحية التى كتبها « برنارد شو » خصيصا لتقوم مسز « باتريك كامبل » بدور البطولة فيها . بعد قصة الحب التى بدأت بينهما ..

أما ماذا حدث بالنسبة لهذه المسرحية ، والتطورات الأخرى فى حياة « شو » ، وفى حياة « مسز كامبل » ،

والأحداث الأدبية والفنية والسياسية العالمية التى دارت خـــلال فترة الحب .. هــــذا كله هو ما تعرضه تلك المسرحية الفريدة من نوعها ، والتى كتبها المؤلف والممثل المسرحى « جيرم كيتلى » من خلال رســـائل الحب بين « شو » و « مسز باتريك كامبل » .



● آن بيزانت ●



● اليس لوكيت ●

القسم الثانى

مسرحية

حبيبى الكذاب

تأليف: جيروم كيلتى

الفصل الأول

« يرفع الستار عن أبطال المسرحية .. ممثل وممثلة. الممثل يقوم بدور « برنارد شو » . والممثلة تقوم بدور السيدة « باتريك كامبل » . تبدأ الأحداث بظهور الممثل والممثلة على خشبة المسرح . يواصلان السير الى أن يقفا على جانبى صندوق من الورق » ...

الممثل : من هذا الصندوق تبدأ أحداث مسرحيتنا.

الممثلة : عشية اعلان الحرب العالمية الثانية ، كتبت «مسز باتريك كامبل» ـ قبل وفاتها فى باريس ـ رسالة الى «برنارد شو» تقول فيها : ترى ماهو مصيررسائلى؟ اننى أتساءل حقا عن مصيرها.. فى تلك الليلة المشئومة. قمت بترتيبها فى صندوق قديم بال ، أخفيته تحت الفراش !..

الممثل : حقا ، ماهومصيره ؟ لقد عثرت عليه السيدة الانجليزية التى قامت بدفنها . واستطاعت أن تدبر أمر تهريبه الى لندن قبل دخول الألمان باريس بخمسة أيام.. وهكذا أنقذت مئات الرسائل التى تبادلها « جورج برنارد شو » و « مسز باتريك كامبل » خلال نصف قرن .

«يفض الصندوق ، ويلتقط مجموعة من الرسائل أثناء حديثه. ثم يقف فى مقدمة خشبة المسرح،

بينما تسير الممثلة بخطوات بطيئة لتقف قريبا من المنضدة » .

خطابات غرام .. خطابات عمل .. خطابات كلها أمل وسعادة ويأس وبؤس .. بل هى قصة حياة !.. لقد ترددت هذه الكلمات فى الرسائل ، وقامت عليها أحداث مسرحيتنا .. ففى عام ١٨٩٩ — أى بعد زواج «شو»

بعام واحد ـ كتب أول رسالة الى «مسز كامبل» يدعوها فيها لزيارة كوخه وقضاء اجازة نهاية الأسبوع فى صحبته وصحبة زوجته .. كتب « شو » يقول :

« من الآن فصاعدا يتقمص الممثل شخصية « شو » بل ويتحدث بلكنته الايرلندية . وفى نفس الوقت الذى يردد فيه « شو » ما كتبه فى خطابه الأول ، تبدو لنا الممثلة وقد تقمصت شخصية « مسز كامبل » ، وهى تمسك برسالة تطالع سطورها » .

بلن كاتراهيندهد — ١٢ ابريل ١٨٩٩ .

حبيبتى « مسز باتريك كامبل » ..

« يتطلع اليها أثناء القراءة ، بينما هى توليه ظهرها » ..

سوف نمكث فى هذا الكوخ حتى يوم ١٤ مايو . ولذلك فاننى أرجو أن تسارعى بالحضور . ان « مسز شو » يسعدها رؤيتك . ان النباتى عندما يمرض ، فان الجميع يؤكدون له انه لا محالة هالك . وانت تعلمين اننى نباتى . وحياتى خالية تماما من اللحوم . وقد حدث

عندما كسرت عظام قدمي ان اندروني بأن وجبتي الهزيلة لن تمكن الكسر من الالتئام ، ولكن المفاجأة التي وقعت كانت مدعاة للسخرية منهم ، فقد فحصت عظامي بأشعة اكس ، وتبين انها سليمة ، بل وجميلة وناصعة البياض . ولذلك فقد كتبت في وصيتي أن يصنعوا من عظامي — بعد وفاتي — صندوقا جميلا يكون هدية لك ، لكي تضعي فيه قفازك !..

« تنفجر « مسز كامبل » بالضحك ، وتضع الخطاب الذي في يدها على المنضدة ، ثم تجلس لتنصت » .

لقد رأيت صورتك الأخيرة . كم هي رائعة ، لقد تمنيت أن ألتقط لك صورة وأنت في الفراش ، وأطلق عليها اسم « اغراء الحية » . حقا .. هناك جميلات كثيرات ، ولكن لن أجد ذلك الخيط الرفيع الذي التقطه من عقولهن لكي يلهب قلم الكاتب . أنت وحدك .. ووحدك فقط .. التي تستطيعين أن تمنحيني هذه الهبة الحقيقية . كلي أمل أن تأتي سريعا ..

المخلص : « جورج برنارد شو »

« يقرأ « شو » من خطاب في يده أثناء حديث « مسز كامبل » ، لكي تبدو روح المشاركة المتبادلة في الرسائل » ..

كامبل : ٢٣ ميدان كينسينجتون ٢١ ابريل ١٨٩٩

عزيزي « مستر شو » ..

انني أعرض عن رؤية صوري ، بعد أن دنت أيام

الشيخوخة .. فلتساعدنى السماء ولتساعد جميع النساء . وأخشى ألا أتمكن من تلبية دعوتك . لقد أخطأت عندما أنجبت عددا كبيرا من الأولاد والبنات .. وسوف يزيد عددهم اليوم أو غدا ؛ وهذا سوف يمنعنى من قبول القيام بجولة فنية فى ربوع أمريكا لمدة عشرين أسبوعا ، كل دقيقة منها تساوى كثيرا من الدولارات .

لقد طلب منى أن أظهر فى مسرحية «روستاند» .. أليس من الأفضل أن تقوم بترجمتها الى الانجليزية ؟ أخبرنى اذا عزمت على ترجمتها ..

ولتباركك السماء على تلك « القفشات » التى تثير فينا الضحك . أما تلك التلميحات الجارحة التى تتسم بالخسة وسوء الأدب ، فلتغفرها لك أيضا .. السماء !

المخلصة : « بياتريس ستيلا كامبل »

شو : عزيزتى « مسز باتريك كامبل » ..

لا .. لا تدفعى بى الى موقف المتحرش مع «روستاند» لاننى أعلم يقينا اننى سأهب قصته عطرا زكيا من عقلى ، وأكسوها بشعلة من عبقريتى . دعينى من هذا الأمر ، وامنحى الفرصة للآخرين ؛ ابحثى عن الصاعدين على الدرب ، أما أنا فقد استنفدت طاقتى ، ولم تعد سنى المتقدمة تسمح بمثل هذه الالاعيب . لقد بلغت الخامسة والاربعين فى يوليو الماضى .

المخلص : « جورج برنارد شو »

كامبل : « تتجه بحديثها الى الجمهور » .

فى الشهر الخامس من بداية هذا القرن ، قتل زوجى

فى جنوب افريقيا ، بعد زواج دام ستة عشر عاما . وبدأت الوحدة تحيط بى . وعزائى الوحيد هو أن أعود الى عملى لأبدأ الموسم الجديد بمسرحية جديدة .

شو : ٧ نوفمبر عام ١٩٠١

عزيزتى « مسز باتريك كامبل »

استطعت أخيرا الحصول على مقعد فى العرض القادم لمسرحيتك . حقا انها لتحفة رائعة ، وقد زاد من روعتها موسيقى «هاندل» . لقد وهبتها اللمسة الفنية الرائعة ، ومع ذلك فان جوقة « هاليلويا » فى مسيس الحاجة الى الاجادة ولا أجد لذلك شيئا أفضل من حمام ساخن لمدة عشر دقائق !.. أوه .. حقا ، هناك مأخذ آخر هو مصرع بطل مسرحيتك .. فليس طبيعيا أن يموت دون تقديم أدنى مساعدة ، وبخاصة عندما يسقط بطل مثل « عطيل » صريعا . ومع ذلك ، فان هذه الهنات ليست بذات موضوع ، فان التأثير العام بالغ الروعة بالنسبة لمعجب متحمس لفنك .

المخلص : « برنارد شو »

كامبل : « تتجه بحديثها الى الجمهور » ..

وبعد ذلك ظهرت فى عدد كبير من المسرحيات . وكان النجاح الساحق حليفى فى أدوار «بيلاس وميليساندى» و « هيدا جابلر » و « بيلا دونا » التى قمت بها فى انجلترا وأمريكا .. حدث هذا قبل أن أسمع شيئا عن « شو » . وفى ذلك الوقت كبر أولادى ، وتزوج ابنى « بيو » عام ١٩٠٩ ، وتزوجت ابنتى « ستيلا » عام ١٩١١ .

شو : « يتجه بحديثه الى الجمهور » ..

أما أنا ، فقد تتابع صدور مسرحياتي ، واحدة بعد الأخرى . وقد حققت مسرحية « فاني » نجاحا منقطع النظير ، فقد عرضت ستمائة مرة ، وحققت لي دخلا كبيرا لم يحدث لي من قبل. وبعد ذلك شرعت – بمنتهى الحماسة – في كتابه مسرحية خصيصا « لمسز كامبل». وهذه المسرحية هي مسرحية « بيجماليون » .. وقد انتهيت منها في أوائل عام ١٩١٠ .

« يتوجه بالحديث الى مسز كامبل » .

عزيزتي « مسز كامبل » ..

لقد سمعت أنك قد وصلت توا من أمريكا . وسأكون الى جوارك بعد ظهر الغد . فهل .. هل تسمحين بدعوتي لتناول الشاي معك ؟..

كامبل : « تتجه بالحديث الى الجمهور » ..

قبل أن يسمح الوقت بالرد على رسالته ، وجدت جرس الباب يدق ، ثم رأيت « شو » يحتل مكانه في غرفة الصالون، وانا مشدودة اليه أستمع الى مسرحيته الجديدة . كان ينطق بالكلمات التي ترددها « اليزا » – بطلة « بيجماليون » – فتخرج الألفاظ من فمها منكرة ، ممطوطة السواكن ، مبتورة النهايات . وعندما انتهى من القراءة أخبرني انه كتبها من أجلي ، ثم تركني وحدي : لقد وددت أن أشكره من أعماقي ، ولكني لم أستطع أن أعبر عن رغبتي . ولكني كتبت :

« تتجه بالحديث الى شو » ..

عزيزى « مستر شو » ..

أولا .. أشكرك لأنك أطلعتنى على مسرحيتك ، وفكرت فى اننى أصلح لدور هذه الفتاة القذرة .. حقا اننى أتساءل : هل أستطيع أن أكون مصدر سعادتك ؟ على أية حال دعنى أصرح لك بأننى سررت بلقائك ، وان اتسمت الزيارة بعنصر المفاجأة .

شو : «ستيلا» ! أخشى أن تكونى قد أسأت تفسير حقيقة الموقف . ولسوف أحملك على سماعى حتى النهاية .. عندما تفوهت بهذه الكلمات النابية تأكد لدى ان الأمر قد انتهى ، وانك لم تعودى فتاتى .. بائعة الزهور .

كامبل : أنا لم أتفوه بشىء !.. الا تذكر اننى عندما انتهيت من قراءة المشهد الأول ..

« تنهض وتسير متجهة نحو شو » ..

تركت مقعدي ، وقلت :

أيها الوحش !.. كتبت هذه المسرحية خصيصا من أجلى .. وكل سطر فيها أعددته لكى أردده !.. اننى أسمع صداه وكأنك تسخر من صوتى !..

هذا هو كل ما تفوهت به ، على اننى لو كنت حقا أثيرة لدى قلبك لأقدمت على الخطوة التالية . وشرحت لى خطوط العمل . متى تعرض المسرحية ؟ وأين ؟ ومع

من أقوم بدورى ؟ .. ربما يأتى اليوم الذى أقبل فيه القيام بهذا الدور .. أوه .. لا عليك .

« تسير نحو مقدمة المسرح ، وتتجه بحديثها الى جمهور المشاهدين » .

... وذات يوم من أيام شهر يونيو . وكان الوقت بعد الظهر ، وصل « شو » لتناول الشاى ، وفى عينيه علامات البشر . وكان يحمل فى جيبه عقداً لى . وبعد رحيله ، أحسست بمشاعر غريبة .. ان صداقتنا قد ازدادت توثقا ، وبسرعة فائقة . وقد تأكدت من ذلك عندما وصلتنى رسالته التالية ، التى ضبطته وهو يدفع بها من تحت الباب ..

« تسير نحو النافذة ، مولية ظهرها للجمهور أثناء هذا الحديث » .

شو : « يسير نحوها » ..

كنت تعلمين ان ذلك سوف يحدث . لقد توجهت الى بيتك وأنا فى كامل هدوئى . ولم أكن أدرى أننى سوف أقع صريع هواك خلال الثلاثين ثانية الأولى من لقائنا . وكم استغرق هذا الحب ؟ ثلاثون ساعة ! .. لماذا ؟ لقد حملتنى أحلامى السعيدة ، وعبرت بى أجواء الفضاء طوال بعد الظهر ، وتخيلت ان عيد ميلادى القادم هو العشرون .

كامبل : ولكنك لم تعد فى العشرين ، فالمسرح عمل .. بل انه عمل ضخم وكبير . اذا .. وأنا أقول لك اذا ..

استطعت العثور على خيرة الممثلين الذين يصلحون لتمثيل مسرحيتك ، فانني على استعداد للقيام بدور بائعة الزهور .. هذا ما يتطلبه العمل . اما أن تسير عبر الفضاء ، فان السحاب له جناحان تستطيع أن تختار احدهما حتى أختار لنفسى الجناح الآخر .

شــو : « يسير على خشبة المسرح ، والى يمين المنضدة ، حتى يصبح بعيدا عنها » ..

حسن .. هيا اذن الى العمل !.. سأعلن على الملأ انك قمت بالقبض على لصالح المسرح !.. اليس كذلك ؟ ان هذا أسوأ ما أقدمت عليه ، فقد حملتنى الى عالمى حيث تختفى روحى الهائمة بين جنباته ، بل انها تحيا وتتنفس بعبيره . وقبل أن يصلك خطابى هذا ، سيدرك الجميع خططك ، بعد أن أكون قد وشيتها بما تستحق من سحر رومانتيكى . لقد كان من الأفضل لك أن تلعبى وأوراقك مكشوفة على المائدة . خذى اذن حذرك .

كامبل : « تقترب منه » ..

اننى ألعب دائما وأوراقى مكشوفة على المائدة . والآن جاء دورك .. هل لعبتك من سمات حسن الجوار ؟

شو : « يسير عبر المسرح الى أن يلتقيا فى منتصف المسافة » ..

مخادع .. محترم دائما . ماخطبك ؟ هل تشعرين بالخوف كلما فكرت فى ان قلبك قد يتورط فى حب هذا الممثل الاشتراكى الضال تماما كما تورط قلبه فى حبك . أو أنك خائفة لأن قلبك تورط فعلا فى هذا الحب ؟ ..

كامبل : « بياتريس ويب » كانت على حق .. انت

خيالى ! اذ كيف يحب المرء طيفا ؟ هل يمكنك الحضور يوم الجمعة ، واننى أعدك بأننا سنكون منفردين !..

«تذهب الى النافذة ، وتتطلع بنظرات هائمة».

شو : « يتجه بحديثه الى الجمهور » ..

اذا رغبت «ستيلا» فى اقتناصك ، فليس أمامك من سبيل الا أن تسعى اليها وأنت راغب فى لقياها ، لأنها فتنة لا تقاوم . ان جميع أبناء لندن يدركون تماما ما تكشفه أضواء المسرح من سحرها . أما أنا فلى رؤياى الخاصة التى أدرك بها كنه جمالها ، وان كنت أدرك تماما انه لم يبق لى شىء .. فقد سلبتنى كل شىء .

« يتحدث الى كامبل » ..

عزيزتى « ستيلا » ...

شكرا لدعوتك اياى يوم الجمعة .. وللأحلام الجميلة التى سأتقلب فى احضانها يوم السبت . اننى الآن سعيد مرة أخرى . سوف أعود الى الواقع ، ويطن فى أذنى قرع الطبول ، وأجزع لدويها الرهيب . دعينى أعترف فى شجاعة انك سيدة رائعــة .. وان جمالك أطار لبى طوال اليوم .

« جورج برنارد شو »

كامبل : هل لديك مانع يا مستر شو من الاستمرار فى العمل ؟ لقد تقدمت بطلب رسمى الى المسئولين عن المسرح ، وأعلنت على الملأ اننى سأقوم بدور « اليزا » فى مسرحية « شو » القادمة ..

« تسير نحو المنضدة ، وتجلس على المقعد وتختم حديثها » .

... وربما اطلعت على ذلك فى الأوراق التى تقدمت بها . ولكن ، هل لى أن أسألك عمن سيقوم بدور « هنرى هيجنز » ؟ .. أننى لم أعرف بعد . ولكن لا تكترث لهذا الأمر كثيرا ، فسوف نجد أحدهم دون شك .

شو: بيانزيسيزيما .. عندما رأيت ذلك فى الأوراق، أصابنى الفزع وشطر الصداع راسي . رفقا بى .. فاننى لا أدرى كيف يعالج طبيب الأسنان صفوف اللؤلؤ .. لابد انه يحبك ، ومع ذلك فانه لايستطيع أن يجنبك الألم مهما كان نبوغه . أما من ناحيتى ، فاننى على استعداد لأن أطعن قلبى بمدية وألقى بنفسى تحت قدميك حتى لا أراك تتألمين . ومع هذا فاننى أريد أن أنزع نصف أسنانك .. دون مخدر ! ولكن سأواصل عملى الأدبى . واليك ما يقوله كاتب المقال..

« تحاول ان تتكلم ولكنه يمنعها » .

صمتا ..

عزيزتى « ستيلا » .. هل تعلمين ان النجم الصغير يقوم بدور كبير فى حركة المجموعة الشمسية .. وهكذا فاننى أرى أنه مهما اجتمعت عبقريتى الى جانب آرائك، فانهما لن يمنعا الفشل المحتوم عن مسرحيتى . هل تعرفين السبب .. هذا الكون قام على .. رجل وامرأة .. والمسرح كون صغير .. يقوم أيضا على بطل وبطلة . ان نصف جمهورك من النساء ، وهؤلاء لابد

أن تقدمى لهن بطـلا يحقق أحلام خيالهن .. ولكن بحق السماء ، كيف تضمنين النجاح اذا قدمت بطلا يتقاضى منك مرتبا هزيلا ، ويؤدى دوره منزويا فى أحد أركان المسرح .

هل تودين أن تكونى مطرقة بلا سندان ؟ أو«ساندو» يعبث بأثقال من ورق ؟

هل تقدمين « بيجماليون » وقد مثل دور «هيجنز» رجل يتقاضى راتبا قدره عشرون جنيها ؟.. يمكنك أن تجدى هذا الـ « هيجنز » الذى يمثل الدور فى مقـابل عشرين جنيها . وقد يحالفك نجاح ما .. ولكن الدخل سيكون أقل من مائتى جنيه . وبعد أسابيع قليلة سوف يصاب مشروعنا بالهزال . وهنا تبدأين فى الانفاق على الاعلانات بسخاء ، فيقل الدخل ، وهذا يدفعك الى التبرم بمسرحية « بيجماليون » والابتعاد عنى . .وقد يدفعك العناد الى الاســـــتمرار حتى آخر فلس فى حقيبتك .. وقد تفكرين فى القيام بجولة فنية فى أمريكا تكلفك كثيرا من الجهد والعرق، حتى تستردى ما فقدت من أموال .. أو تنزعين الى هجرة المسرح حتى آخر العمر ، تماما كما فعلت « مسز كندال » . ولو تذكرنا « مسز تانكيرى » وهى تتطلع الى المرآة .. ترى ، ما الذى يمكن أن يدور فى خلدها الآن ؟

والآن .. على أن أبحث لك عن ممثل يكون جديرا بالوقوف أمامك على خشـبة المسرح . انك سـعيدة بالتمثيل مع « ديدان » . وهذه الديدان لا تكون مصدر أية متاعب . وفى بعض المسرحيـات يحدث أن يقـدم كشف بأسـماء الممثلين ، ولـكن مسرحيتى تحتـاج الى ممثل يستوعب المضمون .. ممثل يبذل الجهد .

اذن من يكون هذا الممثل الفذ ؟

خلق « جون درو » ليكون ندا لـ « اداريهان » ، و « ارفنج » ليكون ندا لـ « الين تيرى » . أما «ستيلا» فانها يجب أن تجد ممثلا يقوم بدور « هيجنز » . يجب الا أهدم فنك أو أهدم نفسى ، فان حبى لك لا يدانيه الا حبى للمال .

كامبل : أوه !.. أنت مهرج يا « مستر شو » !.. أظن أننى سأناديك « جوى » .. « جوى المهرج » . اننى أيضا أعلم ان قيام استعراضنا على بطلين خير من استعراض يقوم على نجم واحد . والاستعراض الكبير الذى يحتاج الى نجوم كثيرة لا يصلح الا للمسرحيات التى تدور حول الملوك والأميرات .

شو : اذا كنت تعلمين كل هذا .. فلماذا أنت « صعبة » ؟..

كامبل : اننى لست صعبة كما تتصور .. واذا كنت لا تهتم بقدر سعادتى فى العمل ، فاننى سأجد الكثيرين الذين يهتمون بى . هناك « جيمس بارى » قد أعد لى مسرحية . وقد عرض على « فروهيمان » مبلغا كبيرا نظير تمثيل المسرحية فى أمريكا .

شو : طبعا .. طبعا .. اننى أدرك ذلك تماما . ولكن بحق السماء حكمى عقلك يا « ستيلا » !

كامبل : يساورنى شعور الآن بأننى غير نافذة البصيرة ، وأنت تساومنى بهذه الطريقة .. واذا كنت تتخيل أن دور « هيجنز » أكثر أهمية من دور « اليزا » فعليك اذن بالبحث عن بطل كبير . أما أنا ، فسأتخلى

عن دورى .

شو : « ستيلا » !.. تدبرى الأمر مليا !.. أنت نجمة راسخة القدم ، وممثلة قديرة محنكة .. لذلك فأنت فى حاجة الى ممثل جدير بالوقوف امامك .

كامبل : محنكة!..كيف واتتك الجراة على استعمال مثل هذه الكلمة .. محنكة ! هذه الكلمة تحملنى على التفكير فى اننى فرس فى سباق الدربى ، فاز فى السباق مرة ، ولم يعد يصلح بعد ذلك فأطلقوه فى المراعى .. محنكة ! اننى اتخيل نفسى امراة تقدمت بى السن .. واستبدلت شعرى بباروكة ، وأصبحت عيناى زجاجتين، وصارت ساقاى خشبيتين . ولكن ، لا.. اننى ما زلت محتفظة بشبابى .. عيناى الجميلتان ، وشعرى الفاتن ، وساقاى الرائعتان ! .. اننى سأعيش عمرى كله وأنا فى الثلاثين . حقا ان ابنتى فى الثامنة والعشرين الآن ، ولكن ما وجه الغرابة فى ذلك ؟ .. يحدث هذا فى الهند !!

شو : هل انتهيت من حديثك ؟

كامبل : لا .. لم أنته بعد . لقد أخبرونى اليوم انك تود أن أقوم بدور « اليزا » حتى تسخر منى ، ويتندر الجميع قائلين : نكتة .. نكتة طريفة أن أقوم بدور فتاة ! حسن .. الشاطر من يضحك أخيرا ..

اننى أتخيل مدى نجاح مسرحيتك لو اننى تخليت عن تمثيل الدور . وأعتقد أنك ترغب فى معرفة المسرح الذى سأؤدى دورى عليه ، والامكانيات المادية التى تعتمد عليها. وطبعا سوف تقدم لك كل هذه التفاصيل، أما الباقى فانه متروك لفطنتك .

« تسير ببطء حول المائدة ، ثم تبتعد قليلا» .

شو : لست فى حاجة لأن تعرض على كل التفاصيل .. اننى فنان ، ولا أفهم شيئا فى المسائل المالية . وكل ما يعنينى هو بطلتى « اليزا » التى لا أرضى عنها بديلا. لقد كتبت المسرحية من أجل بطلتى « اليزا » . ولزاما على أن أجد « هيجنز » الذى يكون جديرا بك . اننى أحكم عقلى .

« يتجه ناحية المقعد ثم يجلس » .

سأجلس هنا .. وأملأ الدنيا صراخا !.. اننى استطيع أن أصرخ طوال عشرين عاما . لى مطلب واحد أسعى اليه ، وهذا المطلب هو أن أعمل بالأسلوب الذى يرضينى .

كامبل : أوه .. ياحبيبى .. ياله من حديث !

اننى أناديك حبيبى ، لأن « عزيزى مستر شو » لا تعنى شيئا البتة. بينما حبيبى تعنى أكثر منعزيزى. وأكثر من عزيزى تعنى .. وجود رجل .. وعقل .. وحديث .. تماما كما أراك .. رجلا وعقلا وحديثا . اننى أتوق الى الالمام بجوانب مسرحيتى ، وأن يكون الافتتاح يوم أول سبتمبر .

شو : يناسبنى أول سبتمبر . فقط اذا عثرنا على بغيتنا « هيجنز » . ولن أحيد مطلقا عن موقفى . لقد بدأ أصدقاؤنا فى الثرثرة . عربات محملة بالقذى تلقى بحملها فوق رأسى . كنت أقضى ليلة الاثنين أنا وزوجتى مع « جيمس بارى » ، وفى الساعة الحادية عشرة نهضنا

للرحيل ، واذا به يقول فى لهجته الاسكتلندية البطيئة : هل ستلتقى « بمسز كامبل » الليلة ؟ لقد احسست اننى مسئول عن تلك التلميحات التى تلحق باسمك . وكم تمنيت من أعماقى أن أحبك دون أن أخبر أحدا . اننى سأبلغ السادسة والخمسين فى السادس والعشرين من هذا الشهر . ومع ذلك فاننى أشعر بأن العمر لم يتقدم بى بعد .

« يقف »

على أن اذهب لأقرأ الخطاب على زوجتى «شارلوت»

« يتجه نحو المنضدة » .

غرامياتى . تسليتها الأثيرة . أما انا فأحب رؤية الجمهور . اغفرى لى لأننى أجدف بك ، ولكن عقلى دائما شرير ، ويدفعنى أحيانا الى العقوق . «ستيلا» .. الافتتاح أول سبتمبر .. أليس كذلك ؟

كامبل : أول سبتمبر .. طبعا .

شو : « يتجه بالحديث الى الجمهور » .

.. ولكن لم يحدث الافتتاح فى ذلك التاريخ ، فقد أصيبت « ستيلا » اصابة بالغة فى حادث سيارة . وكان ذلك بعد قيامى بأجازتى السنوية بعدة أسابيع ..

« تسحب كامبل مسند الأقدام من تحت المنضدة ، وتضع عليه قدمها » .

.. وتحطمت آمالنا . ولم يقدر للمسرحية أن ترى النور ، اذ توقفت «ستيلا» عن التمثيل طيلة عام كامل. وقع لها هذا الحادث وهى تقود سيارتها الى « البرت هول » ، وكانت كلبتها « جيورجينا » تتوسد ركبتيها.

كامبل : كانت لطمة قاسية . لقد ارتفع رأسي ست بوصات ، وأحسست بنزيف يغمر وجهى . ولم أعد الا شبحا .. بقايا انسان .. يسرى الألم فى كل كيانى. أما الرضوض فقد أصابت جسمي كله . والآن أخشى ألا أستطيع القيام بدورى فى « بيلادونا » . انتهى الأمر بالنسبة لى . لا ولن أمثل دور « اليزا » فى الوقت الحاضر . وقد توسلت الى « ماى ستراشى » أن تكتب اليك راجية أن تعيرنى بطلتك ، وأن تقضى معنا بقية أيام علاجى فى فرنسا . اننى سأقضى الوقت معها أقرأ ما تكتمه عن العالم وأخفيه عن عيون البشرية .. أكتب لى رسالة تبعث فى أوصالى الشفاء ، ولن يكفينى منك خطابا .. ترسله كل يوم .

« خلال أيام المرض لا يتطلع الممثل ناحية الممثلة ، بل يتباعدان قليلا ليوحى الموقف بأن البطلة على سفر » .

شو : فندق دى روس ، بادكيسينجن .

٩ أغسطس ١٩١٢ .

ستيلا .. حبيبتى ستيلا ..

ان رياح الشمال تحمل فى ثناياها ألحانا شجية لتكون رفيقا لآلاف الرسائل التى حررتها لك خلال اجازتي..

ولكن عندما أرخى الليل استاره ، توقفت عربتى ، وتوقفت معها معدتى !.. (فأنت تعلمين اننى نباتى) . لذا وقفت .. وقفت محمولا على ساقى المشدودتين ، وأنا أنتظر على هذا التل زهاء عشر ساعات ، لكى أرفع من معنويات سائقى حتى يواصل اصلاح العربة . وأخيرا وجدت قرية .. عثرت فيها على غرفة بها سريرين يصلحان « لشارلوت » وشقيقتها . وقد نجحتا فى الاستغراق فى النوم . أما أنا والسائق فقد لبثنا متيقظين حتى مطلع الفجر . ولم تخر عزيمتنا بسبب طول السهر ، وواصلنا اليوم دون كلل أو وهن . أما اليوم الثانى . وكان ذلك بالأمس ــ صــدقينى .. اننى أقول لك صدقينى ، وكونى عادلة فلا تحكمى على كلامى بأنه خيالات كاذبة ــ فقد وهنت ركبتاى وتصلبت سمانة ساقى من طول الوقوف . والآن ، لن أبثك غرامى لمدة عشر دقائق !.. تسألينني لم ؟.. طبعا لكى أخبرك بأننى سأبعث لك ببروفة أولية من مسرحية «بيجماليون» .. ومع هذا فاننى أحذرك سلفا من أن يصيبك الدوار اذا اطلعت عليها .. وأخشى أن تهرعى لترتمى تحت قدمى .. واذا بوهج حذائى الرمادى قد انعكس على شعرك الفاحم ، فبدأ مصبوغا ..

اخبرينى اذا عزمت على الرحيل من فرنسا قبل نهاية الشهر . ان « شارلوت » ستمكث هنا طويلا تستنشق النسمة الرقيقة ، بينما تتمرغ أختها فى الوحل خمس مرات . على فكرة .. ان أى واحدة منهما لا تشكو من أى مرض ، ولكن الحقيقة ان «شارلوت» تقوم بعمل ريجيم قاس لكى تصبح رشيقة .. وقد اتفقت الشقيقتان على انهما مصابتان بالربو وفى حاجة

الي العلاج . اما انا فقد عالجته بتناول المياه المعدنية..
جرعة واحدة كانت كافية لشفائي بقية حياتي ..

هل تقضين اجازتك مع « ليدي ستراشي » ؟ .. اذا كانت هي حقا في صحبتك .. فماذا تظنين بي وانت تجهزين على ضحيتك امامها ؟ الحقيقة التي لا مراء فيها هي أنني عندما توجهت الى منزلك في ميدان كينسينجتون لم يخطر ببالي قط انه كان من واجبي أن أرتدي سترة حديدية .. حتى لا تنفذ منها سهامك ! عجبا .. لم تمر ثلاثون ثانية على لقائنا . أوه .. «ستيلا» .. لو تدبرت الأمر مليا ، لما حدث ما حدث ! هل هذا كرم منك ؟ هل هي شفقة منك ؟ وأنا في هذه السن .. أبله .. أحمق ! على أن أهزم هذا الضعف. وخير لي ان أتجر بقصتي .. بتأليف مسرحيات عنها !

كامبل : أكتب ما شئت من مسرحيات ، ولكن رجائي أن تبتعد عن قصة حياتنا !.. عندما كانت ابنتي « ستيلا » صغيرة تعودت أن أسمع منها أغنية ، كانت تظن انها مسلية . وكانت تبدأ هكذا ..

انه مجنون .. مجنون .. مجنون
انه يترك بندقيته وهو نظيف
انه ينظف حذاءه بمربى الفراولة
انه يأكل قبعته عندما يستطيع
انه مجنون ..
وهذه الأغنية تصلح أن تكون تعبيرا عنك ..

« فجأة ، تحرك رأسها حركة سريعة . ويصدر عنها أنين الألم » .

ما زالت عيناي داكنتين . وأشـــعر بألم بسيط فى كتفى .

شو : لقد ذكرت صغيرتك « ستيلا » ، وهذا يذكرنى بذلك اليوم الذى صــدرت عني فيه تلك الحمـــاقة الايرلندية التى أثارت شكوكك فى مسلكى.. كنا جالسين فى « السافوى » نتابع عرض المسرحيـة « الأسـلحة والرجل » . واذا بالنظارة يهللون احتفاء بى . وشعرت بدافع يغرينى بأن أقوم ، وأباركم ..

« يقوم الممثل بالتعبير عن حركة شو » .

حقا .. أحيانا أشعر بنفس الشعور الذى يحسه البابا .. ولـكننى لم أفعل.. وظنت صغيرتى المسكينة اننى مجنون !

كامبل : يبدو لى انك تقضى وقتا مرحا . أود من أعماقى أن أكون فى رفقتك . ولـكنهم لا يدعوننى أنهض الا لمدة ساعة .. ولا أتحدث عن العربات . اننى هنا فى « آكس » أعيش فى عالم رائع .. عندما يمتد بصرى عبر الفضاء العريض ، تصـادفه الفيـد الحسـان وقد ارتدت كل واحدة منهن أفخر الثياب . وزينت جيدها بالعقود واللآلى ، وطلت أظافرها بطــلاء أحمر قانى ، وشفاهها يسيل لها اللعاب . وهنا يقف شعرى من هول هذا العالم الذى يحيط بى ، اذ لم يسبق لى أن استشفيت فى مثل هذا المكان ! .. اننى فى دهشة بالغة ! .. « أضحك تضحك لك الدنيا ، ونم وحيدا عندما تبدأ فى الشخير» ربما يأتى اليوم الـذى أكتب لك فيه خطـابا غراميا .. وذلك اذا شعرت انك تسلك سـلوكا كريما فى حفـل الافتتاح .

شو : خطاب غرام !.. كلمات بسيطة تعبق بالطهر! هل لك أن تخبريني متى أرسلت لى خطابا.. غير غرامى؟!

دعيني أكتب لك .. وصلى من أجلنا .. فانني أشعر بالخطر الداهم يزحف عندما يدخل الحب فى العمل . آه ، كم أتمنى أن تكونى فى صحبتى حتى لا أتورط كما حدث بالأمس . سأخبرك بما حدث باختصار .. فى قرية صغيرة على بعد عشرين ميلا من الحدود الفرنسية، توقفت عربتى وحتى لا تصرعنى عربة وأنا غائب عن الوعى لجأت الى صالون حلاقة ، دون أن يخطر ببالى أننى قصدت الصالون فى اليوم السابق.. فماذا كانت المفاجأة ؟ لقد اجتث الحلاق شعرى حتى أصبحت أصلع . ولم أدرك حقيقة الموقف الا عندما شعرت بالحلاق وهو يقترب من حاجبى ، ظنا منه أنه شارب آخر ، الآن أطرافه مرتفعة تماما على طريقة « مفيستو فيليس » (١) لقد أصبح منظرى مثل ذيل « أزعر » . ولذلك فلن أبثك غرامى لمدة عشر دقائق . اذا كانت الشمس مشرقة فى سافوى، اسألى السائق أن يعطيك قليلا من زيت التشحيم ، وادعكى به وجهك اذا كان القشر قد أصاب بشرتك . أنا شخصيا أستخدم كريما مغذيا للجلد . ولكن زيت التشحيم أرخص وله تأثير فعال ! ..

كامبل : أنت لا تستحق أن تكون أديبا . وأنت فى الحقيقة لست لبيبا ، وانما هو المزاج الساخر الذى يتدفق به عقلك الخبيث . وأنا لا أستطيع أن أحتفظ بهذه الوفرة .. مثلك تماما . كذلك فان لكنتك الايرلندية أثيرة لدى قلبى ، ولو لم تكن هذه السمة من خصائص

---

(١) مفيستو فيليس : أحد الشياطين الرئيسية السبعة فى أساطير القرون الوسطى .

الأفعوان ، لفشى بصر آدم عن رؤية التفاحة ، وفاته التهامها . أرجوك .. افعل شيئا والا هلكت .. انا مريضة ! !

شو : هراء ! اننى لا أشجع المرض .. زوجتى مريضة ، وأمى مريضة . وأنا أستعد لحفلتى افتتاح مسرحيتين على التوالى . ولو أخبرونى أن الأرض زلزلت زلزالها وابتعلت من عليها ، لملأت الدنيا .. ضحكا ! .. ومع هذا ، فأنا فى مسيس الحاجة الى الرثاء والشفقة . لقد تسلمت خطابا يبدأ قائلا : مسكين «حبيبى المريض» . لا ، انهضى .. تعالى لتواسينى .

كامبل : حسن ياحبيبى .. اننى لست فى السماء ، وليست لدى ستون ذقنا . وما بقى من فؤادى ما زال قويا منيعا . لقد زارنى «جيمس بارى» ذلك العبقرى العظيم الذى يعيش قريبا منك وصاحب المسرحيات ذات الفصل الواحد التى تلقى نجاحا كبيرا .. جاء لرؤيتى بالأمس ، فلم ألمح على وجهه أدنى علامات الفزع . فهل تأتى لزيارتى بسرعة . اننى افتقدك كثيرا ، وأفتقد « اليزا » أيضا .

شو : ان قربى من ربتى « اليزا » هو عزائى الوحيد عن بعدك ، ذلك ان مائة وعشرين ميلا تفصل بيننا ليست بالأمر الهين . اننى أعجب كثيرا كيف انه لم يسبق لى الحضور الى « أورليانز » وتحدونى الرغبة فى أن أكتب يوما ما مسرحية « جان دارك » وتبدأ أحداثها بعد التخلص من الرماد بعد استشهادها ، وأصحبها فى رحلتها الى السماء. وسوف يدورأحد مشاهدالمسرحية حول شكسبير ، وفولتير ، وهما يركضان عبر الشارع

محاولين تجنب لقائها . هل ترغبين في القيام بدور « جان دارك » ؟.. سوف تقبلين وانت ممتطية صهوة الحصان يكسوك درعك ، ثم تبادرين بمنازلة جحافل المهاجمين .

كامبل : ان خطاباتك لا تنطوى الا على مهرجان من الكلمات . كيف أرد على رسائلك بأسلحتى الضعيفة ؟ سوف يكون الأمر رهيبا عندما تكتشف اننى لا أعدو ان أكون امرأة عادية .. غبية .. بل أكثر من ذلك .. بقايا امرأة . أما انت فتحيا الآن وحولك « أعظم نساء العالم » القديسة جون !.. اذا عدت يوم الاثنين أو الثلاثاء القادم ، فستجدنى فى انتظارك فى الساعة الرابعة ، لكى تشيع من حولى جوا مرحا ، وتؤكد لى اننى بدأت استرد صحتى !..

شو : آسف .. اننى لا أستطيع أن أحقق لك هذه الرغبة يوم الاثنين أو الثلاثاء . صحيح اننى سأعود الى انجلترا . ولكن كان على أن اتوجه الى « ليفربول » ، لأحضرعرضاآخرلتلاوة نص مسرحية «قيصروكليوباترا». وقد أصبت بخيبة أمل ، فقد كانت التلاوة مأساة .. ذلك اننى لم أسمع تلك العبارات الجافة والتلميحات الخاصة . وفى رأيى ان المسرحية قد وصلت الى ذروتها فى نهاية الفصل الرابع ، فقد غرق المسرح فى الظلام لنكتشف بعد ذلك مصرع « فتاة تيتا » وهنا صاحت «كليوباترا» قائلة : الدنيا ظلام .. وأنا وحيدة ! وكانت طبيعية فى صيحتها لدرجة ان عامل الاضاءة بالمسرح رق قلبه اشفاقا عليها .. فأغرق المسرح بالضوء !

كامبل : أوه.. حبيبى!.. ان الوقت متأخر. ولست

أستطيع الا أن أحبك . ولكن ، عندما كنت صبيا ، كان من الضرورى أن تجد أحدا «يهزك» ولو مرة واحدة .

شو : أوه .. أيتها السيدة العظيمة .. الجميلة كالمرمر الأبيض.. ان أحداث طفولتى لم تكن ذات شأن يذكر. لم أجد تدليلا حتى أفسد ، بل لم أفسد حتى يقومنى أحد . لم يمنعنى أحد من اكتشاف ما يحتويه هذا الكون من أعاجيب . لقد قبلنى الجميع على علاتى ، أنا الوحش الصغير ، دون أن يكلف أحدهم نفسه ــ أو نفسها ــ أن يكتشف امكانياتى . ولم أحاول بدورى اكتشاف من أكون . ولم أعلم أننى كانسان أختلف عنهم (الا فيما هو سيىء) . وما اكتشفته من قوى كامنة فى أعماقى جاء من الخارج . وكان اكتشافى مثار دهشتى لدرجة عدم التصديق . لقد اكتشفت ان الآخرين لايملكون مثل مواهبى . أما عن خجلى أو جبنى ، فانه لا يخطر على بال بشر .

كامبل : لقد حاولت الكتابة بالأمس ثلاث مرات . ولكن يبدو ان حرارتى قد فارقتنى الى القمر!.. كن صبورا معى ، فقد مكثت اثنى عشر عاما أرملة ، وجدة لمدة أربعة أيام ، وكنت على شفا الموت منذ أسابيع قليلة مضت . ماذا تقول عن « الخجل » و « الجبن » .. اننى أرى فيك حساسية «كيتس» ، وخوف الحمل.. اما عن خطاباتك . فما هى الا شراك .. شراك يشبه لكنتك الايرلندية .

شو : أوه .. انت على حق . اغلقى أذنيك جيدا ضد تملق هذا الممثل والكاذب الايرلندى !.. انه يسعى لكى يملأ قلمه من دماء قلبك ، ثم يبيع عواطفك على خشبة المسرح وهو سوف يفعل ، فانه لا يعدو أن يكون آلة

كتابة ، وآلة حديث . وهو يعمل زهاء أربعين عاما حتى أصبح لديه خبرة الشيطان !.. كان من واجبى ان أحذرك منذ فترة . وقد ظننت أن شعيراتى البيضاء والأعوام الخمسة والستين سوف تجعل من غزواتى الغرامية مدعاة للسخرية.. ولكن لقد فات أوان التحذير.

كامبل : هناك شعار يقول : سر خطوة بخطوة .. وهذا مايحدث بالنسبة لى . لا تظن حقا انك جئت لرؤيتى لأنك مهتم بى ، فأنت انما تبحث عن عزيزتك « اليزا » . وكم أنا سعيدة بسمة رجل الأعمال التى تتقمصها . وان كنت تكسوها بغلاف جذاب . لم أقل لك « قبلنى » ، لأن الحياة قصيرة لا تسمح بالقبلة التى يتوق اليها قلبى .. اذا كانت لديك الشجاعة الكافية ، انظر فى عينى مدة دقيقتين دون أن تتحدث معى ، ثم اخبرنى كم ساعة تأخرتها عن ميعاد تناول طعام العشاء !

شو : اذا نظرت الى عينيك لمدة دقيقتين دون أن أتحدث معك ..

« صمت لمدة دقيقتين .. يخيم جو الصمت على الحاضرين كما لو كانوا شخصا واحدا .. ويصيح المارد : مستحيل »

خير لى أن أرى السماء تمطر من أن يحدث ذلك . وأعتقد ان صحتك قد تحسنت . اننى أسمع رنينا ، وأرى وهجا . ان «ستيلا» الشجاعة تنهض من رقادها «ستيلا» . من هى «ستيلا» ؟.. امرأة .. «حسن ! » هل يمكن أن تحب صيادا ماهرا ؟ أنا هو ذلك الصياد! هل ترغب فى أن أزين صدرها بوسام ؟ أوه .. صدرها !

اننيأتذكره الآن.. هذا الصدرالمنهك.. عندما صافحت يدها يدى ، وأخذت تهزها حتى لامست صدرها. انها حيلة قديمة عفى عليها الزمان ، ولكنها أثارتنى لعدة ساعات ! كان من الممكن أن تثيرنى ، لأننى كنت غرا وغبيا . علام اهتمامها اذن بى ؟ وماذا كان يعنيها من أطراف أناملى ! نعم لقد صافحتنى من أطراف أناملى ! فلو انها شعرت بما شعرت به لانطلقت فى أجوازالفضاء ؛ وأخلت لى مكانا أجلس فيه عن يمينها . أوه ! يجب أن تهجرى الفراش ، وتستعيدى صحتك ، والا فانني سأندس فى فراشك لكى نهلك سويا .. تلفنا فضيحة نكراء مدوية ..

كامبل : هناك فقرات فى خطابك لايمكننى الرد عليها الا بالصمت الرهيب ! هل ناديتك يوما ب « المهرج » ؟ أظن ان ذلك كان يوم قلت لى : « أنا الله » . هذا هو أسوأ أسبوع يمر بى ، فقد أخبرونى انه تقرر ارجاء عملية جراحية لى . ولذلك لن أتمكن من ارسال خطابات لك لعدة أيام قليلة . أما أصدقائى فاننى فى انتظار سواعدهم لتقف الىجانبى فى محنتى .. وانا سعيدة بلقائنا .. تصبح على خير !..

شو : هل أخبرك بحساب الدخل الذى يشغل بالى منذ اصابتك بالمرض ؟ انصتى اذن ! ..

زوجتى تطلب دائما نقودا .. فهل لديها شىء منها ؟ كانالدخل ١١٦ جنيها فى الأسبوعطول عرض «بيلادونا» وكان على أن أدفع نصفه وفاء للديون . ومعنى هذا انه يتبقى لدى ٥٨ جنيها رصدتها لحسابها .. ولكن هذا القدر جعل البنوك تسمح لها بسحب مايزيد على رصيدها

ودون اكتراث . على ان هناك حدودا للاستدانة لايمكن تجاوزها. وهذا الحد قد يواجهنا يوما ، أو ربما واجهنا ونحن لا ندرى . وهنا لابد من البحث عن أصدقاء ، ولن تثنينا الكبرياء عن الطلب . واذا كانت فى حاجة الى مال ، يجب .. يجب .. يجب .. يجب أن تأخذه . فاذا لم يسارعوا الى تلبية طلبها ، وأصرت على الحصول على المال ، فانها تبحث عن مراب .. ولن تتوانى عن البحث عنه .

شىء من الكياسة . انها مشكلة كل امرأة لاتدرك قيمة المال ، فتنفقه بلا حساب ، وخاصة اذا لم تكن تكدح فى سبيل الحصول عليه . وشكرا للسماء على اننى أفتقد فى نفسى الكياسة وحسن الذوق ، فهذا ما ترddه عنى دائما . انه انتقام جميل ولا شك أن تحاول أن تخلق منى ينبوعا من الذهب يتدفق بين يديها ، ولكن للأسف ليس لدى ما يكفى من الذهب ، لاننى عضو فى مؤسسة « شارلوت » وشركاهما.. وهذه المؤسسة لا تدر ذهبا. كم يكفيها من النقود ؟ لا.. يجب أن اكون نافذ البصيرة .. ماهو اقل مبلغ يمكن أن يكفيها للمعيشة ؟ هناك الايجار .. هدايا عيد الميلاد .. الايصالات والمرضات .. الأطباء .. لقد ساعد المرض على أن تكف يدها عن الاسراف ، وتتوقف ــ الى حين ــ عن شراء الملابس ، وركوب سيارات الأجرة .

هل يكفيك ٢٥٠ جنيها ؟ يا الهى .. ان اقدم لستيلا هذا المبلغ الحقير . دعينى أبصق على نفسى !

انها لا تستطيع أن تحتفظ بأى مبلغ ، لأنها ترى أن الاحتفاظ بالمال ضعف مرذول . يجدر بى أن أمنحها

مبلغا ، فلم يبق على عيد الميلاد الا أسبوعان ! ماذا أقدم لها ؟ انني حمار صغير .. لم يتردد هـذا السؤال مرة وأخرى على ذهني ؟

انني أعلم جيـــــدا انك تودين أن أقدم لها ألفا من الجنيهات ! حسن .. يمكنك أن تضعى دفتر الشيكات فى جيبك ، ثم اذهبى اليها واسأليها كم تحتاج من نقود. لن يصيبك أدنى أذى اذا لم تطلب منك شيئا ، وهذا يعنى انها فى غنى عن مالك .. أما اذا كانت فى حاجة الى النقود ، ولم تأخذها .. فهناك أكثر من تفسير .. أبسطها الاخلاص ! ..

ها !..كان جدى يردد دائما على مسامعى انه لايوجد على وجه البسيطة ، أميرا كان أو خفيرا ، من يرفض خمسة جنيهات عندما تمر قريبا من أنفاســه !.. ألا أستطيع الحصول على ورقة من ذات الألف جنيه ، لكى تستنشق أنفاسك عبيرها ؟ ألا ترغبين فى أخذها ، ثم تحرقينها أمامى ، انها دعابة جميلة .. سأحصل على رقم الورقة النقدية ، واستحلف النار أن تكون رحيمة بها ، ثم آتى بورقة أخرى ، وأكرر الدعابة معك ..

« ستيلا » .. لو استطاع رجال البنوك .. لا ، لا تغضبى .. فقط أقول اذا .. اذا .. اذا ..

نعم ، لقــد أطلت الحديث اليك ، وســأكف عنــه

ياحبيبتى . اذا احتجت أى مبلغ مهما قل .. تذكرى الخشخشة .. الخشخشة.. الخشخشة.. خشخشة النقود وهى تمر أمامك !

كامبل : وصلنى خطابك ، ولكنى لن أطلب منك شيئا مطلقا ! هل لك أن تعيرنى شيئا من البكتريا ؟ ان الأطباء

لم يعثروا عليها فى دمى . ولذلك فانهم يطلبون شيئا منها لاعداده وامدادى به .. لقد أشاروا على أن أبحث عن بكتريا حصان ، فلم أجد شيئا أفضل من فصيلتك. أوه .. اننى أتوق الى رؤيتك . أن تكون الى جوارى . وألقى بالأطباء الثلاثة من النافذة . واذا لم تسرع لرؤيتى، فانك لن تجدنى ! واطلب من «شارلوت» أن ترحمنى ، ولا تظن اننى مجنونة أو مغامرة ، وتسمح لك برؤيتى وأنا على فراش المرض .. فهذا يساعدنى على الشفاء العاجل !

شو : لا .. خير لك ألا تسأليها شيئا ، لأننى نادرا ما أذكر اسمك . لقد سمعت بالأمس مصادفة محادثتنا التليفونية . وكان أثرها رهيبا للغاية . اننى أشعر بالجرح والأسى عندما أرى أحدا يتألم . ويخيل الى اننى أود أن أقتل نفسى أو أن يقتلنى أحد آخر .. وأخشى القول بأنه خير لنا أن نتألم جميعا ، ولكن الأمر المؤسف هو أن يكون الضعيف أكثرنا ألما . وكثيرا ما رفعت يدى الى السماء وأنا أتساءل : لماذا لا يستطيع الانسان أن يسعد حبيبه الا اذا قدم امرأة أخرى قربانا لها !..

كامبل : لا تكن غبيا ياحبيبى ! فى الليلة الماضية كانت الأحلام تداعبنى ، ورأيتها تبتسم لى وهى تصافحنى بحرارة . ثم قالت : لقد ظننتك احدى طيور الجنة ، ولكننى لم أر فيك أكثر من أوزة حمقاء .. وانتهى الحلم ، ورأيت نفسى أنفض الفراش وأغادر سريرى ، وألقى بنفسى فى سيارة أجرة لتحملنى الى .. أنت تعلم

وجهتها .. ولكنى قلت لنفسى .. «ستيلا» ، تجنبى بالخطر .

« تدفع بالمسند بعيدا عن قدمها ، ثم تتجه بحديثها الى الجمهور » .

وبعد ذلك بدأت أستعيد صحتى ، وتوجهت الى دار للنقاهة ، حيث يقومون بالتدليك كل صباح ، ويشدون قامتى على لوح خشبى طوال الليل . وفى شهر يناير بدأت أتحرك ، وخلال شهر فبراير سعت وفود كثيرة للسؤال عنى ، بعضهم يعيش فى لندن وعلى صلة دائمة بى ، وبعضهم الآخر لم يسبق لى معرفتهم . وكان من بينهم « جورج كورنواليس وست » الذى دأب على أن يحمل لى باقة من ألزهور كل يوم . وقد لاحظ « مستر شو » زياراته المتكررة ، فبدأ يتحفظ فى سلوكه .

شو : هل هذا صحيح ؟ ان خيالى ينذرنى بأنك بدأت تمكرين بحبى . اخبرينى بربك ، هل بدأت تحتقرين علاقتنا ؟ هل أكف عن تأليف أشعارى ؟ اننى أعترف بأننى لا أجد وزنا لكلمة «ستيلا» سوى كلمة «المظلة» . سحقا لى .. اننى أحب « مسز كامبل » ، ولا أحمل ضغينة « لجورج » ، فأنا أحبه أيضا .. هل تحبينه حقا ؟ انه صغير ، أما أنا فعجوز ، ويمكنه أن ينتظر حتى امل علاقتى بك .

كامبل : قليلا من الهـــدوء ياحبيبى « جوى » . كن رفيقا بالحمقى . انت مسكين . ينتابنى الخوف كلما احسست ان «شارلوت» تنكل بى ، تنكل بامرأة وحيدة بلا زوج . وانت ليس فى وسـعك أن تفعـل شيئا ،

ولكننى سأجد الشيء الكثير الذى يمكن أن يقدمه لى «جورج» . . لذلك أرجو أن تدع الأمور تسير !. .هل لك أن تقبل دعوتى لحفل العشاء الذى سيتكون من موز وتفاح . كما اننى ادعو «شارلوت» على شريطة أن تطرح من فكرها نظرتها الى .. كعاشقة متصابية .

شو : هل تعلم «شارلوت» شيئا عن «جورج» .. أنا أجهله ؟ انى أحس انها تحولت فجأة من وحش كاسر الى جنية فاتنة . عجبا ! لم يعد يعتريها الغضب الآن عند الاشارة اليك فى معرض حديثنا .. علام كل هــذا التغيير ؟

كامبل : انها غريزة المرأة ! .. وهناك ايضا التشدق بجاذبية «جورج» واهتمامه بى !.. يكفينا هذا الحديث الآن . لقد بلغنى مرض والدتك ، وتذكرت انك قلت يوما : « اننى أدين بعقلى وشخصيتى لأمى » .. أوه «جوى» . أنا أعلم انك تحبها ، وستكون خسارة كبيرة اذا فقدتها !

شو : أمى .. حقا! لقد انتزعت ضرس العقل عندما بلغت الثمانين ، وهذه هى النهــاية . هكذا يقولون .. العالم يتغير بجنون !

ج . ب . ش

« يسير عبر المسرح متجهــا الى خلفيته ، ثم يدور دورة الى يمين المنضدة حتى يصل الى المقدمة من ناحية اليمين ، حيث يبــدأ حديثا تشوبه رنة الحزن » .

كامبل : لقد وصلتنى الأنباء المحزنة .. دعها ترقد فى سلام .. كانت أمى تحب «دانتى» ، فقد كانت روحا تسبح فى عالم الخيال . حاول أن تراسلنى اذا سمحت لك الظروف .

شو : « يتحدث بلهجة خافتة . وعندما يصل الى منتصف الحديث يخيل للسامعين انه يوجه الحديث لنفسه وهو واقف أمام المرمدة المعدة لحرق جثمان أمه .. هذا الحديث ينم عن مدى حبه لأمه . ونرى « ستيلا » تصيخ السمع لحديثه » .

٢٢ فبراير ١٩١٣

ياله من يوم .. دعينى أكتب لك عنه ، فأنت وحدك التى تستطيعين أن تقدرى حب المرء لأمه ، كما تقدرين حب الأم لأطفالها .

فى الواقع لم أستطع أن أكتشف من انت .. هل انت فتاة ايطالية أو « سوبرمان » ؟ على أية حال ، ليست هى الخصم ؟ ولماذا يكبح مشهد الجنازة روح الدعابة ، ويثير فى أعماقنا روحانية صافية ؟.. فى هذه الظروف العصيبة ، كان التوفيق حليفنا ، فلم تعترينا الرهبة من مشهد الدفن ، ولم تكن فى رفقتنا معزيات متشحات بالسواد باكيات مولولات فى حزن كاذب . لم يكن فى صحبتى الا «جرانفيل باركر» والحانوتى. وكانت مراسيم المشهد بسيطة ، ليست فيها الألوان الصارخة او الحيوية المتدفقة أو الموسيقى الصاخبة . وانما اقتصر الاحتفال علينا نحن الثلاثة . وقد أشرت الى الحانوتى لأنه كان سببا فى موقف سخرية .. سرت أنا و « جرانفيل باركر » ناحية المرمدة ، وجاء الحانوتى

بالنعش وهو يسير حزينا فى خطوات جنائزية ، كأنما جمد البرد اطرافه . وفى تلك اللحظة خامرنى شعور بأن أمى تود ان يسير الحانوتى بهمة ونشاط . ولكنه اقترب منى وقد أخذ الحزن منه كل مأخذ . وكنت على نقيضه .. متماسكا وروحى المعنوية عالية (وانا أنعم بذكرى أمى) وحاولت من جانبى أن أفهمه انه لا حاجة به الى خداعنا بـ « أصول الصنعة » .. ويا لدهشتى ، فلم يكن سلوكه من أصول الصنعة ، وانما كان حزينا حقا لفقدها . وقد اختير الكفن من القماش البنفسجى وليس الأسود . من واجبى أن أعيد كتابة العبارات التى يتلونها على الموتى لحظة الدفن ، فقد مرت على ظروف قاسية لم نقرأ عنها فى كتاب . ومع ذلك فهناك جوانب فى هذا المشهد يمكننا ان نصفها .. وأن تقرأ أيضا !..

أتى الكاهن ، ولم يتمتم بصلواته كعادته فى مثل هـذه المناسبات ، وانما أقام صـلاته بروح تتسم بالاخلاص والمشاعر الفياضة ، اكراما لى و «لجرانفيل » وأمى ، فنحن جميعا أبناء طائفته . وعندما وصل الى العبارة : « من الأرض والى الأرض .. ومن الرماد والى الرماد .. ومن التراب والى التراب » ..أجرى تعديلا فى الكلمات حتى تتلاءم مع الموقف . ثم فتح بابا فى الحائط ، ونقلت الجثة من خلاله ، واختفت عندما أغلق الباب وراءها. ان الناس يظنون ان هذا الباب ماهو الا باب الموقد ، ولكنهم مخطئون ، فقد تابعت ما وراء هذا المشهد حتى نهاية الاحتفال ، وشاهدت الحقيقة العارية ، فالناس فى ذعر من رؤية هذه الحقيقة ، ولكنها عجيبة حقا !.. وجدت الجثة ملتفة فى الكفن ، وقد وسدت أمام باب آخر ، وكان هذا الباب هو فعلا باب الموقد . كانت

ترقد فى غرفة مقامة من الطوب الحرارى والأسمنت . لم تكن تشع منها حرارة ، ولا ينبعث منها صوت ، ولم أر لهيبا ولا وقودا ، وانما كانت الغرفة نظيفة باردة مشمسة . ويمكنك أن تضعى يدك دون وجل أوخوف. وحين بدأ نقل الجثة الى داخل الغرفة ، أدخلت القدمان اولا. انظرى ماذا حـدث ؟.. ما كادت النـار تزحف لتلتهم القدمين ، حتى رأيت الكفن يتمزق وتندلع منه شعلة جميلة .. بلا دخان .. تشبه الألسنة المندلعة فى عيد العنصرة . ثم زحفت النار الى باقى الجثة .. لقـد تحولت أمى الى هذه النار الجميلة ، ثم أغلق الباب ، واخبرونا بأن نعود بعد ساعة ونصف ساعة اذا رغبنا فى رؤية ماحدث للجثة ، ولـكنى تذكرت أمى وماتبقى من اصبعها النحيلة ووجهها العجيب ، فقلت لنفسى : الى اللقاء .. ثم تركناها وارتحلنا . وعندما عدنا كانت الخاتمة مضحكة للغاية ، ولابد أن أمى استمتعت بها .. لقد تطلعنا من خلال فتحة فى الأرض ، حيث كانت توجـد غرفة أشبه بالمطبخ ، تتوسطها منضـــدة كبيرة من الأسمنت ، والى جوارها يقف اثنان من الطهاة يعملان بجد ، وفى يد كل واحد منهما ملقاط كبير ينتزع بهـا مسامير النعش ومقابضه من وسط هذه الكومة الصغيرة من الرماد والعظام التى كانت هى أمى . وبعد ذلك جمعا الحصيلة فى منخل وغربلوه ، فخرجت منه كومين أحدهما تراب ، والآخر بقايا العظام . وخيل الى أن أمى تميل نحوى وتهمس فى أذنى : اى الكومين كنت فى حياتى .. لست أدرى ! وكان هذا المشهد المرح هو ختام رحلتنا . ولم يبق لدينا الا ان نحيل رماد العظام الى تراب ، ننثره فى الحدائق ليتحول الى زهور جديدة .. أيها الموت أين غلبتك ؟

وداعا ياصديقتى .. أنت تدركين حقا مكانة الأم

« يستدير ليواجهها ، ثم يضيف قائلا »
.. واشياء أخرى .

كامبل : لقد فكرت مليا ، ووجدت اننى أعبد العاطفة عاطفة الحب ، عاطفة الشباب ، عاطفة الدين ، عاطفة الأمومة ، واشياء أخرى .. واحب حركات الاكروبات أيضـا .. سواء كانت تؤدى على الأسلاك أو يقوم بها عقل مثل عقلك . أوه حبيبى .. أوه حبيبى .. حبيبى .. حبيبى .. حبيبى . كل الطرق تؤدى الى القبرأو عبر باب الموقد .. لقد تحطمت !..

« تقف كامبل ، وتوجه الحديث الى الجمهور

وفجأة .. وبهدوء .. أعلن الأطباء الذين أشرفوا على علاجى ، وكانوا ثلاثة ـ بارون وفارسان ـ اننى قد شفيت تماما .

شو : « يتجه بالحديث الى الجمهور » .

وأخيرا ، أعلن عن افتتاح مسرحية « بيجماليون » فى ابريل عام ١٩١٤ .

كامبل : « تتجه بالحديث الى الجمهور » .

اننى أعرف نفسى وقوتى ، وتحدونى الرغبـة فى الخروج لكى أرتب أمورى .. اننى أعلم تماما اننىأكبر سـنا من دور « اليزا » .. هـذه ما سـمعته . أن الشائعات تتناقل سلوك « جوى » أثناء اجراء بروفات

المسرحية ، فهو يعامل الممثلين بلا شفقة حتى يحقق ما يهدف اليه فكره . على ان لدى سببا شخصيا يدعونى للرحيل عن لندن فى الوقت الحاضر .. هذا السبب هو زائرى اليومى «جورج كورنواليس ـ وست» فقد أحسست انهناك تجاوبا ينمو بينى وبين «كورنواليس». ولكنى أدرك انه ليس من الحكمة أن تقوم هذه العلاقة

فى الوقت الحاضر.. من أجل الرواية .. ومن أجل علاقتى مع « شو » . لقد أشاروا على أن أقوم برحلة بحرية لبضعة أيام ، أصحب فيها وصيفتى وكلبى .. ورأيت أن يسمع «شو» ـ مصادفة ـ بخبر رحلتى . ولكن حدث أن انتزع قذى من تحت ظفرى واضطررت لتضميده ، وكان ذلك سبيلا الى رؤية « شو » .

« تستدير لتتحدث الى شو »

عزيزى « شو » ...

كنت رفيقا بالأمس . وقد خشيت أن تتضاعف آلامى لعدم مجيئك . على فكرة ، أنبئك بأننى عزمت القيام برحلة بحرية الى « ساندوتش » وتمضية بضعة أيام هناك . سأقضى أجازتى وحدى ، وسأختفى بين أحضان الرمال حتى تبدأ الرواية . لقد خدعت بمظاهر القوة والنشاط التى دبت فى أوصالى . لقد كانت قوة كاذبة . وماذا عن « اليزا » ؟.. لكن لابد من الرحيل وحدى .

شو : حبيبتى .. حقا أن الوحدة جميلة ، ولكن عندما تقتضينها وحدك فانها تبعث على الملل .. هل شعرت بالوهن عقب ذلك الألم ؟ ليتنى أقضى الوقت

معك حتى أزيل عنك هذا الوهن ، واضمك بين ذراعى لأخفف عنك . وأردد على مسامعك أشياء جميلة (وصادقة) حتى تنسى ألمك . الوحدة !.. عندما أكون وحيدا ؛ تكون صورتك هى عزائى فى وحدتى .. أما فى وحدتك على شاطىء البحر فترى أين يكون مكانى منك؟ هل أذهب معك فى هذه الرحلة ؟ ..

كامبل : يا له من خطاب أثير لدى . عندما تكون رقيقا ؛ أحس انآلاف الملائكة تنطلق من تحت جناحيك . ولذلك أعانى كثيرا من فيضى بالحب . بالله ، لا تأت هنا أبدا لأننى أريد أن أقضى الأجازة وحدى ! ..

شو : « يتجه بالحديث الى الجمهور » .

كيف أقضى الوقت فى لندن . وقد اعترفت انها لا تستطيع البعاد عنى ؟ ! .. لذلك حزمت حقيبتى . ولحقت من محطة فيكتوريا بالقطار التالى . وكانالوقت بعد الغداء بقليل . ووجدت نفسى أمرق عبر الرمال حتى الفندق الذى تقيم فيه ، وكنت أغنى لنفسىطوال الطريق . وأخيرا وجدت « ستيلا » فى غرفة المكتب تخط مذكرات .. وتسللت على أطراف أصابعى حتى وقفت خلفها ..

« يتوجه بالحديث الى ستيلا » ..

ستيلا .. ستيلا .. يا أعز ستيلا فى الوجود !..

كامبل : حبيبى «جوى» !.. بحق السماء ماذا تفعل هنا ؟ ..

« تنهض » ..

الم تقرأ خطابى ؟ من فضلك عد سريعا الى لندن ..

«تمضى لحظة يحملقان خلالها أحدهما فى الآخر».

حسن !.. اذا لم ترحل ، فسوف أرحل أنا .. يجب أن يسلك أحدها سلوكا مهذبا .

« تتجه بالحديث الى الجمهور » ..

ولكنه لم يرحل .. فقد رأيته مرة ثانية ، وكانت الساعة الحادية عشر مساء ، وقد غلبه النوم ، فدفعته على العودة الى الفندق . ووافقت على السباحة معه فى صباح اليوم التالى . ولكنى كنت أخدعه فى حقيقة الأمر ، فعندما وصل مرتديا المايوه ، وعلى استعداد للاستحمام ، كنا قد رحلنا بعد أن تركت له رسالة مع خادم الفندق .

شو : « يقرأ الرسالة » .

عندما تتسلم رسالتى هذه أكون قد رحلت . وداعا. واعلم اننى ما زلت مجهدة ، وكان الأحرى بك أن ترحل أنت ، فالرحلة تناسبك أكثر منى .

« ستيلا »

« يمزق الرسالة ويتحول اليها » ..

حسن . ارحلى ! .. لا تظنى أننى حين أفقد امرأة ، فهذا يعنى ان الدنيا قد أصابها الدمار !.. الشمس مشرقة . ويسعدنى أن أسبح فى أحضان الماء ، كذلك فانى أجد المكان مناسبا للعمل . يمكننى أن أعيش

وحدى ! ولكننى جرحت جرحا عميقا .. عميقا .. عميقا . آه .. ليس لدى أى عقل أو أعصاب . ان صداقتنا افتقدت الصراحة الحقة . أنت تهرعين وراء الحياة بجنون ، وعندما تستدير لتفتح لك ذراعيها ، تهربين منها . ارحلى اذن ، واعلمى ان أنفاس القدر تحرق رئتيك ، وخير لك أن تبحثى عن هواء يناسبك . لقد جرحت كبريائى ، وهى جريمة لا تغتفر . أظن أنك لا تكترثين لجرمك . فعلا لايهمك ما أقدمت عليه ، دائما أنا الذى اهتممت أكثر منك . كذلك فانك لم تكترثى « بجورج » أيضا ، ولو انك تظنين انك تهتمين به ، وقد تفكرين فى الزواج منه ، ولكن قبل أن يتم هذا الأمر سوف تلقين به أو تأتى روح قوية لتقذف به بعيدا . اننى أفضل أن أتقلب على نار الجنون ، على أن أتحمل صفعة هجرك . ولكن ماذا تعلمين من أمر هذا كله ؟ أنت ! لم تمزقين أوتار عودى لتستخدميها وثاقا للطرود .. أنا الملاك الذى يرفرف حولك ؟ ! ..

كامبل : كفى.. كفى.. أيها البائس . أنت أعمى . أنت خير من ينمق الألفاظ .. كم أنك مسكين لا يستطيع أن يفهم امرأة .. لقد فقدتنى لأنك لم تكتشفنى . قلت لك اننى سأسلك سلوكا مهذبا ، وقد فعلت . أما أنت فلا تعدو أن تكون عصا نحيلة تغلفها ملاءة .. لقد ضقت ذرعا بصراخ نفسك وضجيج أنانيتك ! ..

شو : لقد وعدتنى ! .. ماذا تريدين أن أقدم لك .. المحار والشمبانيا ؟ حسن ، لقد حصلت على شىء منهما أثناء رحلتى، وانتهيت من روايتى . اليك الفصل الأول:

«ستيلا» تقول : (يقلد ستيلا فى حديثها) دعنا نستحم فى الثامنة الا ربعا ، قبل أن نتناول طعام الافطار .

«جورج برنارد شو» يجيب : كلا.. فليكن الاستحمام في الثامنة تماما .

« يقلدها » : الوقت متأخر ! الثامنة الا ربعا .. ذلك أفضل !

«شو نفسه يجيب» : أرجوك.. الثامنة وقت مناسب!

« يسدل الستار على الفصل الأول ، ويرفع الستار عن الفصل الثانى » .

يصل «جوى» الى شاطىء البحر، فتظهر أمامه خادم الفندق « يقلد صوتها المرتفع » : لقد رحلوا ياسيدى.

« شو يجيب » : ماذا تقولين ؟ اليوم ؟ ها .. ها .. ها .. لقد ظننت انهم سيرحلون غدا .

« يتحدث الى الجمهور على جنب ، وهو يقلد صوت الخادم » :

ـ يعجبنى من هذا الرياضى العجوز صوته وابتسامته الساخرة . ولكنه لا يكترث لى ؟ ..

« يسدل الستار » ..

مسكينة .. انها لا تعلم انها أعجبتنى . لا جدوى من هذه الخطابات ما دام الجرح لم يلتئم .

كامبل : ولكنك لا تتذكرماحدث ؟ عندما جاء الساقى يحمل لنا أكواب الجعة ، قال : لقد سددت فاتورة

الحساب ، ولم يبق الا شلن واحد ثمن الجعة .. وظننت انك ستدرك انني راحلة ما دمت قد سددت حسابي ، ولكنك كنت مستغرقا في النوم .. أنت مدين لي بشلن ! لماذا تواصل اهانتي ؟ الأنني المرأة التي أريدها لنفسي ، ولست المرأة التي تريدها أن تكون فتكون .. عندما أراك لابد أن يصفو الجو . وهل تظن انني أرضى أن يتألم صديقي الحميم . أوه .. حبيبي « جوى » .. لاتتألم .. أرجوك .. أرجوك .. أرجوك ..

« يرتفع صوتها وهي تنطق كلمة أرجوك الأخيرة » .

شو : ١٣ ديسمبر عام ١٩١٣ .

كامبل : أقبل العام الجديد ، ويمكنك أن تلهو مع القمر ، وتقبل النجوم . أما الأرض فقد استكانت في حجرك .

شو : ليالي رأس السنة .. يا لها من ليلة تختلف عن ليالي العام كله . هل تذكرين ليلة رأس السنة الماضية ؟ انني أسألك : هل تذكرينها ؟ لقد قضيتها في فراش المرض . انني أتذكرها جيدا ، وتمزقني الذكرى أشلاء . كنا نستمتع بتلك الليالي ، ولكن لم يتبق لنا منها الا السقم والمرض . هل تعلمين ماذا تعني جولاتنا السقيمة ، وذلك العمل المتواصل ، والتقليب في الأوراق .. ان هذا كله ماهو الا مرض وجنون . أما في ليالي رأس السنة التي ولت ، فقد كان هناك الخلود ، والجمال ، والعالم بلا حدود ، والحب المطلق ، والرضا . انني أتذكرها في يأس مرير لأنك أيقظت المأساة الأخيرة في أعماقي . لقد حطمت كبريائي ، فتحطمت بذلك روح المرح التي تحمل مآسي الدنيا على أجنحتها ، ثم استقرت كالريش فوق قبعتي . وأخذت تهزأ بي . ولا أظن ان دورك كان

محض وهم ، والا أصبحت وحدانيا مثل الرب . أن من واجبك أن تبقى فى عينى أم الملائكة ، وأن تتشحى من حين الى آخر بثوب القداسة ، وتجلسى الى جوارى فى العلياء. اننا نستحق حقا كل ذلك لما نتميز به من عبقرية. وتذكرى دائما ان اخلاصى لك أبدى ، بل ان اخـــلاصى يفوق حبى. وعليك بدورك أن تخلصى لى . على الرغم من خيانتك لى فى أمور أخرى . سأغفر لك ، وأباركك ، وأعبدك . هل ابنى كنيستى .. لحبيبتى « ستيلا » ؟

« يتحرك فى اتجاهها » ..

والآن ، دعينا نسمع الأجـراس تدق وأنت تجلسين على عرشك فى رداء أزرق ، بينما أنا أتطلع اليك ، وأتضرع لك بكل كيانى الماثل أمام سمائك .

« يعبر المسرح حتى يقترب من مقعدها ، وهو يردد عبارته الأخيرة ، ويتحرك اصبعه فوق السطر الأخير » .

كاميل : « تأخذ يده فى يدها » ..
أوه ! حبيبى «جوى» ! اننى أستطيع أن أكتب مثـل رسائلك . وسوف أبعث برسائلى الى الله .

« تفترق يداهما ، ويسير هو نحو المنضدة ، بينما تلتقط هى سيناريو بيجماليون ، ثم تنهض وهى تقلب الصفحات بابهامها » .

شو : « يوجه الحديث الى الجمهور » ..

وأخيرا بدأت مسرحية « بيجماليون » . وقمنا بعمل التدريبات ، وبعد طول حديث وانتظار ، على المسرح الملكي . وكان ذلك فى منتصف فبراير عام ١٩١٤ . وقامت «مسز باتريك كامبل» بدور «اليزا» ، بينما قام سير «هربرت ترى» بدور «هيجنز» . لقد أحكمت خطة المعركة . ولم يعد هناك مجال للتراجع .

كامبل : « توجه الحديث الى شو ، وهى ممسكة بالسيناريو » ..

حسن ، نحن على استعداد لبدء التمثيل . ونرجو أن نتفوق فى أدائنا . سأكون ودودة طبيعيه . ولك ان تهنأ .. اذا كنت قد استطعت أن تحقق ماكنت تنشده منى ، ولو اننى اشعر بقليل من الخوف .

شو : « يتجه بالحديث الى الجمهور » ..

فى الحقيقة كان لدينا من الأسباب مايدعو الى الخوف . لقد طلبنا الى « ستيلا » ، وكلنا يعلم انها فى التاسعة والأربعين من عمرها ، أن تؤدى دور فتاة صغيرة ، وأكثر من ذلك أن تتحدث بلهجة دارجة . والآن .. بدأ العمل المضنى .

« يحرك مقعده حتى منتصف المسرح » ..

بعد القراءة الأولى ، بدأنا القيام بتدريبات لكل مشهد على حدة . والآن ، أنت تعلمين يا «ستيلا» ان أحداث المسرحية تبدأ تحت اعمدة كنيسة سانت بول فى «كوفنت جاردن » . وكانت ليلة انهمر فيها المطر غزيرا ، فهرع عدد من الناس للاحتماء بين أعمدة الكنيسة . كانوا فى

انتظار العربات بعد انتهاء العرض الذى اقيم فى الأوبرا. وكان بين المنتظرين الأستاذ الشهير «هنرى هيجنز» العلامة فى علم الأصوات . وفى غمرة الجلبة ، يفاجئنا جميعا صوتك المزعج وأنت تقتربين ...

«تبدأ هى فى تمثيل صامت للدور فتاة تبيع الزهور»

.. هربا من المطر ، وقد ارتديت ثوبا قذرا ، وتبيعين زهورا .. أنت تمثلين دور « اليزا دوليتل » .

كامبل : « فى دور اليزا » تردد العبارة التالية بلهجة محلية ممطوطة :

ـ تشترى وردة من بنت غلبانة .

شو : تثير هذه اللهجة اهتمام الأستاذ «هيجنز» ، فيخرج قلمه ..

كامبل : « فى دور اليزا » تردد هذه العبارة بنفس اللهجة ..

ـ بنفسج. .بنفسج.. مين يشترى منى البنفسج؟.

شو : تسقط منك باقة من زهور البنفسج فى الوحل ، فترتفع صيحاتك عندما تكتشفين انها قد تلفت ..

كامبل : « فى دور اليزا» تمثل فى صمت سقوط الباقة ثم التقاطها .

ـ آه .. آه .. أو .. ه .. ه .. ه ..

شو : « هيجنز يكتب بحماسة » ما هذا الصوت ؟ انه صوت عذب .

كامبل : « فى دور اليزا » تستعمل نفس اللهجة .

ــ عن اذنك . انت بتكتب ايه .. اسمع انا بنت شريفة . آه شريفة .. ما اعرفش الغلط .. آه !..

شو : لا .. لا .. «ستيلا» ، أعيدى عبارة «مااعرفش الغلط .. آه» مرة أخرى .. اقرأيها لى كما يقولها رجل الشرطة وليس كما يقولها الطبيب .. حاولى مرة أخرى .

الاثنان معا : ما أعرفش الغلط ..

شو : هذا أحسن .

كامبل : هذه اللهجة تقتلنى .. لقد كتبتها لتعذبنى .

شو : « ستيلا » ..

كامبل : حسن جدا « تؤدى دور اليزا » ..

ــ عن اذنك بقى .. أنا ما اعرفش الغلط .. أنا بنت شريفة .. آه ، أنا شريفة .

شو : « فى دور هيجنز » : يا امرأة .. كفى عن هذا العواء الكريه فى الحال ، أو ابحثى لك عن مأوى آخر .

كامبل : « فى دور اليزا » : أنا على كيفى .. أفضل هنـــا اذا كنت عايزه والا أمشى .. آه ، مفيش فرق بينا .. كلنا ولاد حوا وآدم !

«تنتحب وهى تجلس على المقعد الذى يقدمه لها»

شو : « فى دور هيجنز » يسير حتى يقف خلفها أثناء الحديث التالى : ان امرأة تنطق مثل هذه اللهجة الكريهة ، لا يحق لها أن تكون فى أى مكان . أو حتى أن يكون من حقها أن تعيش . تذكرى أنك انسان بما وهبتك العناية

الالهية والروح من نعمة الحديث . ان لغتك هى لغة ميلتون والكتاب المقدس ، فلا تجلسى هناك تهدلين مثل الحمامة التى أصابها مغص .

كامبل : « فى دور اليزا » آه .. آه .. أو .. ه ..

شو : « فى دور هيجنز » : هل ترى هذه المخلوقة التى تتكلم الانجليزية بلهجة تكراء .. اننى أستطيع أن أجعل منها خلال ستة أشهر دوقة تختال فى حفـــل باحدى السفارات .

كامبل : « فى دور اليزا » : ايه دا اللى انت بتقوله؟

شو : « فى دور هيجنز » : نعم ، اننى أستطيع أن أخلق منك ملكة سبأ .. أيتها النفاية القذرة والوصمة الكبرى فى جبين اللغة الانجليزية .

كامبل : « فى دور اليزا » : تتحدث بسعادة : آه .. آه .. و .. و .. و

شو : هل هذا صعب يا «ستيلا» ؟ يمكننا أن نحقق ذلك خلال شهر تقريبا .

« يعود الى مقعده » ..

لقد دهشت كثيرا عندما رأيت انك تجدين صعوبة فى القيام بدور فتاة من العامة .. وها قد نجحت وأمكنك أن تؤدى دور انسان عادى .

كامبل : « تنهض واقفة وتبقى فى مكانها » ..

حسن ، لقد سبق أن جعلتنى أشعر بالضيق . وهذا هو يومنا الرابع ! .. من الأفضل لك أن تخبر «شارلوت»

بأنك سوف تجنى أكياس الذهب من سنابل هذا الحقل،
آسفة اذا كنت أتعبتك ..

« تسير فى اتجاه المنضدة ، ثم تتوقف لتعود قائلة» :

ولكن .. من واجبك أن تسمح « لأليزا » بأن ترتفع قليلا عما صورته لها كسيدة مجتمع ، وذلك فى المشهد الذى تتوجه فيه لحضور حفل الشاى .

شو : تماما .. لقد فضلت دورها بحيث نراها فتاة شعبية فى نصف المسرحية ، وسيدة مجتمع فى نصفها الآخر . ولكنك لم تدركى هذه الحقيقة ، اذ انك تؤدين دور سيدة مجتمع من وراء فتاة شعبية ، وهذا لايصح مطلقا .. أما ان تكونى فتاة شعبية لحما ودما وكلاما ، أو سيدة مجتمع خالصة ، ولكن ماذا وراء هــــذه الاعتراضات التى بدأت تتسلل أخيرا ؟

كامبل : تتسلل ؟ اننى أحب هذا التسلل ! يجب ان افعل شيئا . وهذا الدور الذى عهدت به الى «هربرت ترى » مصيره الفشل .. هذه حقيقة الأمر .

شو : انت لن تساعدك ابتسامتك .. هل تعرفين سبب اعطائه التفاحة ؟

كامبل : أن « ترى » يستغرق خمس دقائق بين كل كلمة وقضمة من هذه التفاحة . اننى اشعر ان وجهى قد أصابه الشلل من جراء محاولتى التعبير عن مشاعرى! وهذا هو سبب اعتراضى . لقد كنت أحاول ببساطة أن أخفى وجهى حتى يعود الى حالته مرة أخرى !

« تستدير متجهة نحو مقدمة المسرح » .

شو : اذن ، لقد كان هذا هو السبب الذى جعل وجهك يبدو كحقيبة ممزقة من الورق .

« يبتعد قليلا » .

كامبل : « تعود » . لا تظن انك تستطيع أن تنال منى أبدا . مطلقا .. فقد أخبرتك اننى أبدو بلهاء فى هذا المشهد ، ثم اننى لا أكترث الآن كثيرا بنفسى أو بموهبتى.

« تخلع الشال وهى واقفة فى مقدمة المسرح» .

شو : ان المشهد الذى يدور فى البيت مازال مصدر قلق بالنسبة لى . وأخبرك بأننى سأقوم بزيارتك الليلة فى بيتك الكائن بميدان كينسينجتون لأطالعه معك . انت وحدك التى تصلحين للمشهد الذى يجرى فى قاعة الموسيقى .

كامبل : « تطوى الشال » .

لقد كتبت الجزء الخاص بقاعة الموسيقى ، ولكن أظن ان المسرحية فى حاجة الى ضحكات تتخللها كثيرا .

شو : والآن .. دعينا نبدأ التمثيل عقب وصولك الى القاعة وجلوسك .

« تأخذ المقعد ، وتحمله الى منتصف المسرح »

وتذكرى انك تسيرين كسيدة مجتمع ، بينما اتخذ الآخرون أماكنهم على الجانبين .. هنا تقف مسز

« اينسفور هيل » وهناك يقف « فريدى » وهنا تسير « هيجنز » .

« تسير وهى ممسكة بمظلة مقفلة » .

مسز « هيجنز » تقول : هل تظنين انها ستمطر ؟

كامبل .. « فى دور اليزا » : سيتحرك الانخفاض المتمركز غرب الجزر البريطانية ببطء تجاه الشرق. ان البارومتر لاينبىء عن وجود اى تغييرات فى الطقس .

شو .. « فى دور فريدى » : أوه .. حقا ! ها .. ها !

كامبل .. « فى دور اليزا » : ما الذى يدعوك للضحك أيها الفتى الصغير ؟ أراهن ان ما قلته صحيح !

شو .. « فى دور مسز هيجنز » : لدرجة مدهشة..

« يسير فى اتجاه المكان المحدد لمسز هيجنز » .

... أرجو ألا تزيد حدة البرد ، فالانفلونزا منتشرة هذه الأيام .

كامبل .. « فى دور اليزا » : عمتى ماتت من الانفلونزا .. هكذا قالوا .

شو .. « فى دور مسز هيجنز » : حقا ! ..

كامبل .. « فى دور اليزا » : ولكن فى اعتقادى انهم « خلصوا عليها » .

شو .. « فى دور مسز هيجنز » : خلصوا عليها ؟ ..

كامبل .. « فى دور اليزا » : أمال اشمعنى يعنى ماتت من الانفلونزا ؟ بقى اللى قدرت تتحمل الدفتريا السنة اللى فاتت .. وكان جسمها ازرق لغاية احنا ما افتكرنا انها ماتت .. لكن أبويا فضل يداويها بكاسات من الجن لحد ما فاقت وقطمت المعلقة نصين .. بقى معقول ان وليه بالقـوة دى تموت من الانفلونزا ؟ .. وراحت فين برنيطتها القش الجديدة اللى كان لازم أورثها أنا ؟.. اتخبطت طبعا ، وانا عارفه ان اللى خبطوها هم اللى خلصوا عليها ! ..

شو .. « فى دور مسز اينزفورد هل » : هل تعتقدين حقا أن عمتك قد قتلت ؟ ..

كامبل .. « فى دور اليزا » : طبعا ! .. دى اللى كانت عايشه معاهم يقتلوها عشان دبوس البرنيطة موش عشان البرنيطة بحالها ! ..

شو .. « فى دور مسز هيجنز » : ولكن لم يكن والدك محقا فى اعطائها مشروبا روحيا بهذه الطريقة .. فربما يكون الجن هو السبب فى قتلها .

كامبل .. « فى دور اليزا » : مين هى ؟ دا الجن كان عندها زى اللبن اللى رضعته من أمها .. وكان هوه بيشرب منه كتير عشان عارف فايدته ..

شو .. « فى دور هيجنز » : يا للسماء ..

كامبل .. « فى دور اليزا » : أنا ماشفتش انه كان بيأثر عليه .. وهو ماكانش دايما بيشرب .. زى ماتقولى كده كل مايهفه مزاجه .. وتقدرى تقولى انه كان بيشرب عشان يبقى مبسوط شويه ..

شو : عظيم « ستيلا » .. رائع .. عبارة « مبسوط شويه » .

« الاثنان يكرران العبــارة فى وقع موســيقى منتظم ، ثم ترتفع النغمة ، بينما يتخذ «شو» من نفســه قائدا للفرقة الغنائية »

شو : يمكنك من وقت الى آخر أن تقولى « مبسوط شويه » وكان ينبسط أكثر لما يلقى حد يشرب معاه !

كامبل .. « فى دور اليزا » : طيب ..

طيب.. دلوقت لازم أمشى .. الى اللقاء مسزهيجنز

شو .. « فى دور هيجنز » : الى اللقاء ..

كامبل..«فىدور اليزا» : الىاللقاء مسزاينزفوردهل.

شو .. « فى دور مسز اينز فورد هل » : الى اللقاء ..

كامبل .. « فى دور اليزا » : الى اللقاء ..

شو .. « فى دور فريدى » : اذا كنت سوف تعبرين الميدان سيرا على الأقدام يامس دوليتل .. فهل يمكننى..

كامبل .. « فى دور اليزا » : أنا أمشى ؟ فشر ! .. أنا مروحه البيت فى تاكسى ..

شو : بحق السماء ، لقد نجحنا يا « ستيلا » .. يمكنك أن تكونى رائعة اذا أنت أصررت فعلا على النجاح .. وداعا !

« يعيد المقعد الى مكانه ، وينهى حديثه » .

كامبل : حبيبى «جوى» ! لم يعد باقيا الا اربعة أيام نواصل فيها التدريب ، ولكن أخشى أن تكون هذه المدة غير كافية .

شو : « ينهض عن المقعد » .

بل انها كافية .. وكل ما فى الأمر ان نهاية المسرحية فىحاجة منك الىشىء من الاجادة.. يمكنك ان «تسلقى» أى مشهد بالخبز واللبن أفضل من أى ممثلة أخرى . ولكن هذا المشهد ياحبيبتى يحتاج منك الى « غليه » بالبراندى. ويمكنأن يساعدك فى هذا الموقف ان تتخيلى ان «هيجنز» الواقف أمامك هو أنا .. ان هذا التخيل وحـده كفيل بأن يثير فى نفسـك ما يتطلبـه الموقف من ازدراء للبطل . وتذكرى ان ترفعى صوتك ، لأننى أحيانا لا استطيع أن أسمع كلمة واحدة مما تقولين ، اذا كنت واقفة فى مؤخرة المسرح .

كامبل : « تسير فى عصبيـة ظاهرة أشبه بالحيوان السجين فى قفص » .

أنت انسان مخيف .. فانني أعلم تماما ان دورى ما هو الا مهزلة . وقد أخبرتك منذ البداية انني فى سن متقدمة، ولاأصلح للدورفتاة لندنية عامية.. لاأستطيع أن أقوم بهذا الدور لأنقذ عنقى أو عنقك . ولعلمك كان الجميع يسمعون صوتى عبر أى مسرح فى العالم ، ولا شأن لى بما أصاب أذنيك .

« تتحول بعيدا عنه فى غضب » .

شو : لا تنفضى يدك مر الموقف هكذا .. لقد أردت

فقط أن اخبرك بما لدى . ان العرض فى حاجة الى المشاعر، والروح ، والمام بالمشكلة الاجتماعية .. واذا لم تدركى كل هذه الأمور ، فأنا فى حل من مصارحتك بأنه لايمكنك القيام بأى الدورين .. سواء دور « شو » أو دور « اليزا » .

كامبل : « وهى ما زالت متباعدة » .

انتى مازلت آمل أن تحقق كسبا ضخما من المال ياعزيزى«جوى» لأنك مؤمن بأنك وحدك ، وبمسرحيتك، تستطيع أن تصيب هذا المال.. ولولاك لأصاب المسرحية الفشل ، وأصبح الجميع حمقى.. اذا كانت لديك توجيهات بالنسبة لى، فيمكنك أن تعطيها لمدير المسرح.

« تعيد مقعدها فى انفعال واضح . وتشرع فى السير بعيدا ، ولكنها تقف عندما يبدأ لحن : هذه الليلة ليلتنا . » ....

شو : أوامر نهائية .. هذه الليلة ليلتنا .. هل أنت على استعداد للنزال ؟ انا لا احب المعارك ، وان كنت أحب أن أحرز الانتصارات . واذا أردت أن تنجحى فى المعركة فامسكى بالسيف فى يدك. انأغرب ما فىالموقف يا «ستيلا» ، هو انى أعلم انك ستنجحين فى المعركة.. هذا رغم انى أعرف ان الركائز الثلاث التى يقوم عليها النصر هى الهجوم والذكاء والعزيمة .

كامبل : سأطيع أوامرك بكل اخلاص . وأشكرك على انك وأصلت عملك الجبار حتى النهاية .

شو : اذن .. سيرى الى الأمام .

كاميل : « تتجه بالحديث الى الجمهور » ..

.. وسارت المسرحية كالحلم ، وقد تخللها كثير من الضحكات المجلجلة . ولم يسبق أن مرت ليلة بمثل هذا الجو المرح كما مرت الليلة الأولى لحفل الافتتاح .

شو : « يتجه بالحديث الي الجمهور » ...

كان الضحك والتصفيق يدويان عاليا عقب كل فصل ، وبمنتهى الحماسة . ولم تكد المسرحية تنتهى ، حتى احسسنا ان « ستيلا » أشاعت فى لندن كلها عاصفة مدوية من النجاح ، حملتنا عاليا واستقرت بنا على سطح القمر . وقد أعددت حفلا ، ابتهاجا بليلة الافتتاح .. وعندما بحثت عن «ستيلا» ، كانت تنتظرنى مفاجأة .. أوه ..

كاميل : « تسير كأنها على وشك أن تترك المسرح ، ثم تفزع عند رؤية شو » : عزيزى « جوى » .

شو : « يواجهها » : الا تنوين حضور الاحتفال ؟ .. هل تنوين العودة الى البيت وحدك .. هذه الليلة ؟ ..

كاميل : لن أعود وحدى ! سأعود مع « جورج ».. انه فى انتظارى فى سيارته .

شو : « جورج » ؟ ..

كاميل : نعم .. « جورج كورنواليس ـ وست » لقد تزوجته يوم الأربعاء الماضى ! ..

ســــــــــتار

الفصـــــل الثانى

« تضاء الأنوار . وفى نفس اللحظة تدخل «مسز كامبل» ، وهى تتحدث الى الجمهور أثناء سيرها »

كامبل : أصابت « بيجماليون » نجاحا عظيما خلال الموسم المسرحى فى لندن ، وكان ذلك عام ١٩١٤ . وبعد شهور قليلة من الافتتاح ، قامت المانيا بغزو بلجيكا ، ووجدت أوربا كلها نفسها فى خضم المعركة . وكانت النتيجة الحتمية أن أغلقت مسارح لندن أبوابها .. وأدرج اسم زوجى وابنى « بيو » فى كشوف المجندين ، ووجدا نفسيهما فى الخطوط الأمامية للمعركة .. وقررت أن أقوم بتمثيل «بيجماليون» فى أمريكا . وكان معروفا عن مستر « شو » انه رجل تقدمى ، وكان الجميع يتهمونه بالخيانة الوطنية . وقد بدأ يكتب عن رجل الدولة الحديثة .

« يدخل شو ، ويسير متجها نحو المكتب ، ويبدو أثناء كلامه كأنه يملى حديثه على شخص » .

شو : علينا أن نشغل عقولنا بمنتهى الجدية فى بحث هذه المشكلة ، فنجد الوسيلة التى يمكن أن تتيح لنا اعادة

رسم خريطة أوربا ، ونصلح من دساتيرها السياسية ، حتى لاتدور رحى الحرب فى أوربا مرة أخرى بهذه البساطة .

كاميل : « تتجه بحديثها الى الجمهور » ..

.. وفى نيويورك ، بدأت تصلنى خطابات «شو» .. وكذلك رسائل ابنى « بيو » ، وكان ذلك قبل أن تدخل أمريكا الحرب ..

شو : عزيزتى « ستيلا » ...

هذه الحرب يهيمن عليها الأغبياء الذين يتلاعبون بالألفاظ . انهم لايتقدمون ولا يحرزون أى نتيجة غير القتل.. القتل.. ولا شىء سوى القتل.. من وقت الى آخر يطلب القيصر قتل مليون رجل.. وكذلك كتشنر، يطلب مليون رجل لقتل خصومهم . وأخيرا تنكشف أمامهم الحقيقة ، وهى ان هذه الحرب البلهاء لم تدفع الحياة الى الاستقرار ، وانما خلقت معركة دائمة تشبه معركة «ووترلو» التى لم يحرز فيها أحد الجانبين أى نجاح .. لماذا لا تنهض المرأة وتصرخ بصوت عال : لقد بذلنا الجهد العظيم لكى نلد هؤلاء الرجال ، واذا لم تتوقفوا فورا عن قتلهم ، فسوف نرفض أن نمد البشرية بأى مولود !.. ولكن يا للأسف.. فالمرأة حمقاء مثل الرجل تماما . وهذا هو ما أردت قوله يا عزيزتى « ستيلا » .. ولكن لم تسألى ماذا حدث بقصائدى ..

« يجلس على مقعد بدون ظهر » ..

كامبل : لم أنس مطلقا قصائدك ، ولا حبك .. فأنا أعرفك تماما ، وأدرك مدى تقديرك لى .. الكثير منه والقليل . لقد أنفقت من جيبى الخاص ٧٧٥٠ دولارا خلال رحلتى التى حملت فيها مسرحيتك عبر المدينة حتى وصلت الى سان فرانسيسكو ، وأنا أقاسى من وهج الحر ، والمسارح التى هجرها الجمهور ، لأنهم كانوا يرون فى اسمك صاحب الوجه ذى الحواجب الكثيفة ، فيعرضون عن مسرحيتك . ولست أدرى لماذا لم نناقش معا اسم المسرحية ، فقد كانوا يتساءلون : كيف ينطقون الاسم .. هل هو «بيجماليون» أو بيج ماليون (١) .. لقد شحب وجهى ، وابيض شعري ، وأسهمت صحف المدينة بدورها فى اصابتنا بالجنون ، فمنذ أسابيع مضت خرجت علينا بالعنوان التالى : «غرق الأسطول البريطانى» . لقد كنت ومازلت فى قلق على ابنى «بيو» ، فقد أصابه المرض فى خنادق الدروفيل ، وأرسل الى الاسكندرية ، ولم يبق من فرقته الا ثلاثة جنود ! هذه الحرب المجنونة تسبح فى بحار من الدم !.. اننى افتقدك كثيرا ، ولا أدرى اذا كانت الظروف سوف تتيح لنا اللقاء مرة أخرى!

« ستيلا »

شو : حبيبتى « ستيلا » ..

لقد عدت الى ايرلندا مع من تم انقاذهم من الباخرة « لوزيتانيا » التى أغرقتها غواصات الأعداء .. وكانت مغامرة تفوق كل خيال . لقد وقفت فى أواخر أكتوبر على رصيف لندن ، والقيت محاضرتين . وكنت اتوقع قيام المظاهرات ، ولكن حشدا يصل الى ٣٠٠ شخص

---

(١) هنا تلاعب بلفظى Pig و Sad ، والثانية تعنى خنزير .

تحولوا عنى فى هدوء ، وهم يرددون سؤالين عن السيد المسيح .. أما صورتك ، بكل ما فيها من شباب وجمال فقد أصبحت أمام عينى حقيقة . يجب أن أراك سريعا وقد أصبحت الآن أبدو فى سن السبعين ، وأحس أن المسرح قد بدأ يهجرنى ، ولذلك فاننى سأعود الى السياسة والدين والفلسفة ، وهذه كلها تصيبنى بالصداع ، ولكنها ترضى روحى .

كامبل : « تتجه بالحديث الى الجمهور » ..

عدت الى لندن عام ١٩١٦ . بعد أن قضيت عامين فى أمريكا . وكان فى انتظارى « جورج الكسندر » الذى حاول احياء عرض مسرحية « بيلادونا » . وقد هرب زوجى من « انتورب » ، بينما عاد ابنى الى الخطوط الأمامية مرة أخرى . وكلما تقدمت الأيام ، ازدادت أهوال الحرب ، وامتلأت الكشوف بأسماء الجرحى المتناثرين فى الشوارع . لقد انقضت شهور لم يكتب لى «شو» خلالها اى خطاب .. ثم أخيرا وصلتنى رسالة منه .

شو : ايوث سانت لورنس ، ويلوين .

١٤ مايو ١٩١٦ .

حبيبتى « ستيلا » ..

لقد أصبت بالانفلونزا .. قضيت أسبوعين بالقرب من البحر ، ومع ذلك أشعر اننى أنتحر . كان يجب أن

يصدر كتابى الجديد منذ شهر ، ولكن لايوجد أى عامل من عمل الطباعه اوالتجليد ، ولا توجد باخرة تقلنى الى لندن . انني أقوم بطبعه فى أدنبره حيث أعيش الآن . واذا شحنت مؤلفاتى من هنا فى قطارات البضاعة ، فانها سوف تحتاج الى ثلاثة أشهر حتى تصل الى لندن . وسوف تجدين تكملة مسرحية «بيجماليون» فى صفحة ١٨١ . انني أعرف انها لا تثيرك ، ولكن «جورج» سوف يقرؤها . أظن انك تقيمين الآن فى لندن . انني لم أشعر يوما فى حياتى بعدم الاكتراث والكآبة مثلما أشعر الآن ، حتى أننى لا أستطيع الكتابة . وكل ما يخطه قلمى على الورق ، يدور فى فلك هذه الحرب اللعينة . لقد تقدمت بى السن ، وأشعر انني قد انتهيت . ان القلم يعصينى وأنا أكتب المسرحيــة الجديدة ، لدرجة انني أغالب البكاء بين لحظة وأخرى ، ودون أن يتجاوز ما أكتبه جملتين أو ثلاث جمل فى الحوار فى كل مرة أعالج فيها الكتابة ، وذلك دون أن أدرى حول أى شىء يدور هذا الحوار. لقد بدأت الكتابة فى ٤ مارس ، ومع ذلك لم أتجاوزالسطور الأولى من المنظرالاول. انه عالم فاسد. وعندما عاد حبيبك «جورج» ، وجدته متبرما بالحياة. وأظن انه لن يعيش طويلا .. وأنت أيضا .. لابد انك تشعرين بتقدم السن ، وبأن الوهن قد بدأ يدب فى أوصالك . وانني لأتساءل عن أسهل الوسائل للموت هل هو الفحم ، أو المورفين ، أو حامض البورسيد ؟ دعينى أقول لك وداعا ، فانه من المحتمل الا نلتقى مرة أخرى . وفى هــذه الحالة ســيكون عنوانى : مقــابر جولدرز جرين .

ج . ب . ش

كامبل : أوه . . . حبيبى «شو» .. كأننى كنت أجهل كل هذا منـــذ سنوات طويلة .. مسكين .. مسكين أنت أيها الرجل ! ابنى « بيو » الحبيب يجتاز مرحلة خطيرة ، وقلبى يتمزق أشلاء . والوقت يمر على ثقيلا بطيئا !..

شو : ايوث سانت لورنس .

٧ مارس ١٩١٧ .

لقد ارسلت لى رسالة مقتضبة ، أعطتنى احساسا أن من يكتب لى جاهل أمى .. ولست انت يا « ستيلا » ، ارجو أن تكملى رسالتك ، وسوف اجيب عنها . لقد إرسلت لى الورقتين الأخيرتين من أوراق الاتهام ، فهل تبعثين الى بالصفحات الست الأولى ؟.. هناك ثلاثة أعماق الجهل ، كل واحد منها أكثر عمقا من الآخر .

١ ــ جهل الجهلة الذى يجعلهم لايدركون انهم جهلة ..

٢ ــ جهل «اليزا» التى لم تستطع ان تقرأ نهاية قصتها.

٣ ــ جهل أولئك الذين لم يقرأوا مؤلفاتى .

وهناك شخص واحد يحيا فى هذا العالم ويعتبر قمة الجهل .. وهذا «الشخص» هو عقلك الذى يجمع بين هذه الاصناف الثلاثة من الجهل . ولكن بفضلى ــ أنا أستاذ فن الرسائل ــ هززت مهد أوربا لترانى معك فى أجمل صورة .

كامبل : « خلال الجزء الأخير من حديث شو ، تكون

هي تطالع برقية تحمل لها نبأ مصرع ابنها فى ميـــدان القتال . وعندما ينتهى «شو» من حديثه ، تكون «كامبل» قد غرقت فى جب الأحزان .. وتنتظر لحظة .. »

ابني الحبيب «بيو» قتل . هل قرأت ذلك فى الصحف ؟ انني أشعر انه نائم ، وانه لابد سوف يصحو من نومه ، ويقبل على .. اذا أحس انني هادئة وقوية !.. هل تظن أن «ماكدونا» سوف يرحب بأن أقوم بدور « اليزا » أمامه ؟ لقد كتب لى القسيس ان ابنى والقـائد كانا يقفان عند قمة درج الخندق عندما انفجرت قنبلة ، فأودت بحياتهما . أتمنى أن تقرأ الخطاب الذى أرسله لى بشفافية ورقة ، ليروى المأساة ويمتدح بسالة ابنى!

شو : « يحاول أن يبدو رقيقا .. ثم يتوقف » ..

لا فـائدة من ابداء العطف ، لأن هـــذه الأمور تثير غضبى . أريد أن أقسم لك ، بل انني أقسم لك ، انه قتل .. لأن هؤلاء الناس حمقى بلهاء . وهل من واجب القسيس أن يقول كلاما معسولا عن القتل ؟ ليس من واجبه أن يقول هذا الكلام عن القتل ، بل ان من واجبه أن يصيح قائلا : « من الأرض يصرخ دم ابنك لبارئها !» لا .. لا تبعثى الى بالخطاب ، وليذهب هذا القسيس هو ورقته الى الجحيم . ولاشك ان القنبلة التاليـــة سوف تمزق جسده أشلاء ، وسوف يجد قسيسا آخر يكتب خطابا رقيقا الى أمه .. هل هو يحاول ترضيتها أو تعزيتها ؟.. فى الحقيقة ، انه فى حاجة الى خطاب من الملك لكى يحس بأن النعمة جاءته فى صورة قنبلة .

لاداعى لأن تستمرى على هذه الحالة ياحبيبتى «ستيلا»! وانتظرى أسبوعا حتى أستعيد صفاء ذهنى ، وأكون قد نسيت المأساة ، وأصبح هادئا مثل الكاهن.. تماما .
اوه .. اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. اللعنة اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. « يرتفع صوته فى المرتين الأخيرتين تعبيرا عن كراهيته للقتل » .
اوه ، حبيبتى .. حبيبتى .. حبيبتى .. حبيبتى .. حبيبتى .. « ينظر اليها فى تلك اللحظة » .. يا أغلى شىء فى الوجود ..

كامبل : « تتجه بالحديث الى الجمهور » ..

لو ان ابنى عاش فترة قصيرة ، لكان من المحتمل أن تنتهى الحرب ..

شو : « يتجه بالحديث الى الجمهور » ..

عندما أعلنت الهدنة ، حدث تغيير شامل فى العالم السياسى والاجتماعى والاقتصادى . فقد ذهبت أبهة الملك « ادوارد » . ولم تستطع « ستيلا » أن تلحق عهد « جورج الخامس » ، فتركها تتخلف عنه شيئا فشيئا . كما أصبحت علاقتنا رواية كوميدية تراجيدية .. فقد نشبت بيننا المعارك فجأة حول الرسائل التى تبادلناها ، ولكن اعجب ما انتهينا اليه هو أننا احتفظنا بها .

« يعود الى المكتب »

كامبل : يناير ١٩٢١ .

عزيزى « شو » ..

لقد وصلتني رسالة من ناشر واطلب منك النصيحة. وهى فى صورة عقد لنشر كتابى ، ولكننى أخشى صيغته فأرجوك أن تخبرنى لحظة وصولك الى المدينة . كذلك وصلتنى رســـالة من صديقه فى نيويورك تبــدى لى فيها اعجابها الشــديد بمسرحيتك « منزل القاوب المحطمة » . وأرجو أن تتيح لى فرصة التمثيل فيها ، اذا عزمت على عرضها هنا . ولقد دهشت عندما انبأتنى بأن لتمثيلها وقع رائع أفضل كثيرا من قراءتها .

شو : يا معبودتى الجميلة .. اننى لا أستطيــع أن أعهد لك بأحد أدوار مسرحية « منزل القلوب المحطمة». لقـــد بعثت الرعب فى قلبى . لو عادت « كاربنتير » فسوف أجد جميع الممثلين قد أعلنوا الاضراب . وهذا الموقف لا إستطيع مواجهته ، ولا يقبل أى شــخص فى الوجود يحكم عقله أن يواجه مثل هذا الموقف .

كامبل : اذن ، فلن استطيع أن أتغلب على هـــذه العقبة . اننى مسكينة لاننى لا أستطيع البكاء .

شو : فعلا.. أنت مسكينة لأنك لاتستطيعين البكاء ، بينما تستطيع أى ممثلة البكاء .. مثل التمساح !

كامبل : موضوع الـكتاب مصدر قلق لى !

شو : ماذا كتبت ؟ حياتك أم حياتي .. أم كلتيهما ؟

كامبل : انت تعلم انني لا أستطيع الكتابة ، ولا حتي الهجاء . ولا « الفق » حكاية ولا امثل . كما ان تزويق الكلمات ليس من الخلق الكريم . وفكرتي عن الكتابة الموسيقية لا تعدو علامة وصل .

شو : « ستيلا » .. لقد أعددت الكتاب ! واخترت له عنوانا هو « قصة حياة غانية » .. بعد أن تؤرخي لحياة مسز « تانكري » ، يمكنك أن تنطلقي في طريقك بسهولة ، لو انك حددت المكان ، وأمضيت باقي قصتك على مسرح العشاق .. مثلا تبدئين الأحداث بعلاقتك مع « تري » ، وقد ضممته الى صدرك ، والتفت ذراعاك حوله في عناق عاطفي حار ، وقد تركتا آثارهما على سترته ، فبدا المسكين مثل الحمار الوحشي .. وتنتهي القصة مع « جيرالد دي موريه » . وكانت الكلمات التي يسرها في أذنيك تدفعك دائما الى التعليق عليها : يا الهي . هل كتب على أن أقوم بهذا الدور على مثل هذا الوجه ؟ !

كامبل : حبيبي « شو » ..

لقد سكرت من خمر قلمك . بلغني ان « شارلوت » حزينة ، وأملي الا يكون هذا صحيحا ! .. ألم تخبرها انني سيدة نبيلة ، أو انني مجرد بجعة تغني ؟ الا تشفق على لانني أجد عزاء في اعادة قراءة هذه الخطابات ، ويا للحسرة .. انني أجدها كلها جميلة ، شيقة ..

واشعر الآن بالسعادة لأننى لم أمزقها . وسوف أعد نسخا منها للنشر ، اذا وافقت على ذلك .

شو : أعيرينى سمعك .. لقد قلت انك تحبين أن تسلكى سلوكا مهذبا فاضـــــلا . اذن فاعلمى ان « الجنتلمان » لا يقبل ، ثم يذهب فيحدث الناس عن قبلاته .

كامبل : من السهولة بمكان أن أهبـــط من فوق السحاب ، لكى أعرف انه توجد وجهات نظر أخرى غير وجهة نظرى .. والحقيقة اننى اكره أن احدثك عن « جورج » وكل ما أريده هو أن تدلنى بثاقب رأيك عن مدى صدق هذه السطور التى يضمها كتابى. واظن انك تعلم انه قد هجرنى منذ عامين .

شو : اننى أكتب بعض الذكريات الشخصية عن حياتى فى الطبعة المفتوحة التى تجمع كل أعمالى . ولنفرض اننى أرغب فى أن أضم الى هـذه الطبعة أعز رسائلك ، فهل تعذريننى اذا أهملت منهـا ما يجعلنى أبدو أمام الناس وغدا مأفونا ! ..

كامبل : حبيبى « جوى » ..

دعنى آخذ كلامك مأخذ الجد ، انت تقول : « لنفرض اننى أرغب فى أن أضم الى هذه الطبعة أعز رسائلك » . يمكنك أن تنشر من خطاباتى ما يروق لك .. فقط بعد تصحيحها من الناحية اللغوية ..

شــو : فى حوالى عام ١٨٩٥ ، كتبت مجموعة رائعة من الخطابات الغرامية الى « الين تيرى » . وقد ردت عليها بسلسلة خطابات رائعة أيضا .. و ..

كامبل : لماذا لا تحمل « الين تيرى » على ان تنشر رسائلك اليها وتضمها الى رسائلك التى بعثت بها الى ، وتصدرها جميعا فى كتاب واحد ؟

شو : اننى أدرك تمـاما سبب اصرارك العنيد على الا ارى الـكتاب .. وانت محقة تماما .. لأننى سأمزقه بلا هوادة .

كامبل : اننى اتحرق شوقا ان ترى الكتاب كاملا ، وليذهب بعد ذلك الى الجحيم ، وان كانت لا تسعدنى رسائل « ايوث » أو « أولفى تيراس » . وقراءة الكتاب لن تستغرق أكثر من ساعتين ، ويمكننى الحضور الى لندن .. فهل أحضر ؟

شو : خذى حذرك ، فسوف أربط بين الشوارد التى أرسلتها الى ، وأضيفها فى فقرات رائعة ، وأنا أدرك تماما مواطن الصدق فيها ، ثم أخلق منها مسرحية تكون خير رد على كتابك .

كامبل : ان كلمة « مسرحية » التى تستعملها كلمة بلهاء ، فاننى أبذل قصارى جهدى فى ان أكون صادقة ، وانت تعلم تمام العلم اننى لا أستطيع صياغة الفقرات ، أو كتابة تلك العبارات الطويلة الرائعة التى يخطهـــا

قلمك . وعندما أنتهى من احدى العبارات ، فاننى أبذل جهدا كبيرا لـكى أعيد الاستقرار الى ذهنى .

شو : هنـاك عبارة يستطيع « جورج » أن يتخذها سلاحا لطلب الطلاق .

كامبل : اخبرنى بهذه العبـارة ..

شو : أنت قاسية لأنك تدفعيننى الى تلاوتها .

كامبل : أرجـــوك يا « جوى » ألا ترتدى مسوح الرهبان . فأنت قلت : اترك النشر .. الخ .. بين يدى « مسز كامبل » لتصدر حكمها .

شو : سوف تحتاجين الى مطرقة كبيرة لكى تصدرى الأحكام فى صالحك ، ولكى تشاهدى نفسك فى الصورة التى يجب أن يراك عليها الآخرون .

كامبل : انت دائما قاس لا تعرف الرحمة فى حديثك الى .. ودائما تنهال بآلاف المطارق فوق رأسى ، ولكن لن يقدر أحد على ايذائى .. أليس ذلك رائعا ؟ اننى أتساءل : لماذا تعارض منذ الآن « الحماقة الضاحكة» التى تمثلها الدنيا ؟ سيقولون اننى كنت عشيقتك ، وان « جرانفيل باركر » ابننا ..

شو : الآن ، ستقف الآلهة الى جوارى لتحمينى من الحمقى . وسوف أكتب منذ الآن مقالات عن صلتى بالأنثى التى تحاول اصطياد الملك . حسن .. يمكنك

ان ترسلى الى اصول كتابك ، لأخبرك ـ بقسوة وكبرياء ـ بما يمكنك أن تصرحى به وما يجب أن تخفيه .

كامبل : اننى فى غاية الدهشة حقا .. كيف ترحب بارسال مخطوطك الأول الى شكسبير لكى يلعنك ، والى زوجته لكى تنقذك . وربما أرسلت نسخة منه ايضا الى عامل الآلة الكاتبة ليناقشها معك !.. اننى اشعر بالاكتئاب الى حد ما ، ولولا انك تبثنى غرامك لما اكترثت كثيرا بنفورك منى الآن . أما بالنسبة « للصلة » التى تربطنا ، فهى لا تعدو فلسفة تقول فيها : « افرغ من هذا الطفل بقليل من ماء الحمام » .. وهذا ما سوف تفعله مع كتابى .

شو : « يقترب منها ويتحدث اليها بصبر كأنه يتحدث الى صبى صغير » ..

دعينى أتحدث معك كما لو كنت أتحدث مع ابنتى تماما . ولنبدأ الموضوع من بدايته .. معروف أن نشر الرسائل الخاصة أمر غير مرغوب فيه من الناحية الشكلية بين الشرفاء . ويزيد من صعوبة الموقف ، ان تكون هذه الرسائل غرامية . وتتحول هذه الصعوبة الى استحالة ، اذا كانت هذه الرسائل متبادلة بين رجل متزوج وامرأة ليست زوجته . وهذه المرأة تحب هذا الرجل فى الوقت الذى يعلم فيه الجميع انها فى عصمة زوجها .. سوف يتهمه الجميع بأنه وغد ذميم اذا بادر هو بنشر هذه الرسائل .. واذا حاولت هى من جانبها نشرها ، فسوف يصفها الجميع بأنها فاسقة .

« يتراجع غاضبا ، ويقف خلف المكتب » ..

وبعد أن كشفت لك النقاب عن الموقف برمته ، فانك ما زلت مصرة على نشر هذه الرسائل .. تماما كما لو

كنت تسألين .. لماذا لا تنشلين الناس ، أو تبيعين نفسك للمارة فى الطرقات ! ..

« يدير ظهره للجمهور ، وقد تجهم وجهه » .

كامبل : حاولت من جانبى أن أسحب رسائلى من مؤسسة « هتشينسون » ، ذلك اننى ما كدت أرى وجهك متجهما وسحنتك متغيرة ، حتى قررت سريعا أن أسلك معك سلوكا مهذبا . ويمكنك أن تخبر «شارلوت» انه لا داعى للقلق . وسوف احزم حقائبى وأرحل الى امريكا ، اذا تطلب الأمر ذلك . واننىعلى استعداد لتعويض الأضرار التى تلحق بك .

شو : اننى احاول أن اجنبك هذا الحرج . ولقد ألقيت بنصائحى خلف ظهرى ، بعد أن توليت الأمر بنفسى ، ولن يلومك أحد الآن . واذا قمت بنشر الرسائل ، فضعى « شارلوت » فى حسابك ، فانأخشى ما أخشاه هو أن ينفطر قلبها بالأسى عندما تجد أن زوجها قد أصبح أعظم الحمقى فى هذه المأساة التى تقومين ببطولتها .

كامبل : اننى احترق بحمرة الخجل التى تسببها لى

وقاحتك المخزية حتى اننى لم أعد أشعر بالبرد القارس . لقد أفسدت كتابى ، وشوهت قصتى ، وأخفيت عن العالم ذلك الشىء الوحيد الذى يجعله رائعا ، وهو « عبث الأسود الطاهرة » . أتمنى أن تلقى فى جحيم دانتى لتتجمد فى بحر من الثلج ، ولن أكترث كثيرا بك هل سرقوا منك ورقة التوت حقا ؟ انك لم تكلف نفسك وضع ورقة التوت لتستر بها رسائلك .

شو : « يتحدث اليها وهو يوليها ظهره » ..

حسن .. هل انتهيت ؟ ألم تصلك اى رسالة من « بينيرو » أو اى مؤلف آخر؟ انهم سوف يغضبون اذا أهملت رسائلهم ، هذا اذا كانوا يجيدون كتابتها . انك فى حاجة الى مزيد من الرسائل الغرامية . ان جمالك الفتان لن يتألق بصيد واحد .. بعجوز أبله فى السادسة والخمسين . ألا يوجد أبله آخر يحفظ لى صورتى فى أذهان الناس ؟

كامبل : انتظر حتى تقرأ رسائل « بينيرو » و « ماترلنك » و « أدموند جوس » و « هنرى جونس » .. الخ .. الخ وسيأسف « مخلصنا » لأنك أصبحت فى المرتبة الثانية . والمحزن حقا أنك تزحف على الأرض بدلا من أن تنطلق فى عنان السماء . وتحمل هذه الرسائل الرائعة للناشرين جريا وراء المال .. يا للفساد ... أف !

شو : « ستيلا » .. انت حمقاء .. حمقاء .. حمقاء

.. حمقاء ! هل تعلمين السبب من وراء نشر هـــذه الرسائل الرائعة كما تسمينها ؟ لأننى أرفض أن أستمر فى القيام بدور الحصان المعلق فى عربتك ! ..

« يسير عبر المسرح ، ويجلس على المقعد وقد عقد ذراعيه » .

كامبل : انها سورة الغضب التى تحملك على عيدان واهية وترفعك الى مرتبة السوبرمان التى تسعى اليها ، وان كنت تظن انك تتربع فعلا على عرشها. لقد وصلتنى رسائلى ، ولكنها لا تمثل شيئا منى أو تعبر عن مشاعرى .

لقد كنت أظن ان من يهوانى « مغازلا بارعا » ، ولـكن مداعباتك لى لم تكن تعدو الأكاذيب . وقد اكتشفت فى نهاية الأمر اننى ارتبطت برجل عادى . رجل يظن ان الحب حمـــاقة ، ولا يدرى ان هــذا شرف له . ان الجاروف هو وحده الذى يعلم ما تحتويه قمة المدخنة. ولم تترك لى شيئا أفعله سوى أن أصرعك بمحرك النار .. سأمسك به بكلتى يدى وألطمك لطمـة قاتلة ، ولن يشفع لك عندى تلك الشعيرات القليلة الباقية .. اننى سوف أنشر ما يروق لى ، فلو لم تكن صـادقا فيما كتبت ، لما أقدمت على كتابته . اننى أشكر السماء لأننى أبقيت ما أبقيت وحذفت ماحذفت ، حتى تستطيع مواجهة الناس مرة أخرى . وعليك الآن أن تبـدأ فى ترديد صلواتك ، فقد تسلمت الخطـاب الذى تأذن لى فيه بالنشر . وليست هنـاك آية فائدة من التعـامل معك بأسلوب « الجنتلمان » ذلك انك نقضت العهد ،

وهذه هى دائما لعبتك المفضلة . واحسرتاه على ذلك العقل المتوهج بالأفكار دائما أبدا ، وقد أصبح يسعى الآن خالى الوفاض .. فهذا هو شأنك الآن . لقد قرأت فى صحف الأمس خبرا يقول انك أصبحت مكروها ، ولو انك سرت فى دربى منذ البداية لأحبك الجميع كما أحبوا « لورد بايرون ، والكونتيس تريزا » . حاول فى المرة القادمة أن تغرى ممثلة ، ولكن لا تتخذها وسيلة لمنافقة « شارلوت » ، فهذا هو أسوأ سلوك أقدمت عليه . لماذا تحاول أن تسرى عنى ، بل لماذا نبحث عن السلوى معا ؟ ان الرجل الذى ينقض العهد لا يكون .. حسن .. سوى ايرلندى ! ..

« تتجه بحديثها الى الجمهور » ..

لقد صدر الكتاب محتويا على بعض الرسائل ، وان كنت بطبيعة الحال قد استبعدت كثيرا منها . وكانت طباعته أنيقة . وقد صرح الجميع بأننى كشفت للعالم عن شخصية « شو » الحقيقية .. « شو » الرجل . وكان « شو » يلقى فى ذلك الوقت نجاحا كبيرا ؛ اذ كانت تعرض فى جميع البقاع مسرحياته : « سوء التوفيق » ، و « الزواج » ، و « بيت القلوب المحطمة » ، وأخيرا « القديسة جون » . وعقب افتتاح مسرحيته الأخيرة بيوم واحد ، تلقيت منه رسالة بعد قطيعة غاضبة ، دامت ما يقرب من ستة عشر شهرا .

شو : «ينظر اليها نظرة صارمة .. قبل أن يقول » :

ما زلت على قيد الحياة ! ..

« ثم ينظر اليهـا مرة أخرى ، وينهض ليسير متجها نحو المكتب » ..

توجهت الى غرفة ملابس « ليال سويث » لأقول له كلمة أخيرة قبل رفع الستار ، ولكنه بدأنى بالحديث عنك مرددا انك أعظم ممثلة فى هذا العالم، ومقسما انك مازلت جميلة كسابق عهدك ، وانك تقومين بتدريب حشـــد كبير من الممثلين ليتعاونوا معك فى حفلات عرض مسرحية « هيدا جابلر » ومسرحيات أخرى . ولابد ان الرجـل قد أصيب بالجنون . والآن غفرانك . فقد ولدت على أديم نجم وهبك رأيا ثاقبا للحكم الصادق على الرسائل ولابد اننا قد ولدنا سويا على سطح هذا النجم . أليس مضحكا أن يعلم قلة من الناس بما وقع بيننا من خلاف. ولـكن بربك يا « ستيلا » ، يجب ألا يحدث هـذا بيننا مرة أخرى حتى تضمنا القبور ، ويضاف اسمانا الى قائمة « هيلويز وأبيلار » وباقى العشاق . لقـــد اختارتك السماء للقيام بدور الحية فى مسرحية «العودة الى متوشـالح » التى كتبتها خصيصـا لـكى يرددها صوتك .. اننى عندما أخبرت «اذيث ايفانز» ان دورها يتطلب منها أن تدخـل المسرح وهى صـلعاء ، عجوز ، نصف عارية ، ترتدى الأسمال البالية .. باعتبـار ان هذه الصفات كلها ستخطف أبصار الشباب الذى اعتاد أن يفتن بالجمال ويسير فى ركبه .. اعتنقت « اديث » كلامى ونفذته .. أما « سيبل ثورندايك » (١) ، فانها

(١) سيبل تورندايك ممثلة انجليزية قديرة . نالت لقب « ليـدى » تقديرا لموهبتها الفنية . وقد أعجب شو بتمثيلها دور المتهمة فى أحـد المسرحيات ، ولذلك فانه عندما فرغ من كتابه مسرحية « القديسة جون » ، دعاها الى منزله وقرأ عليها المسرحية ثلاث مرات ، فأخـذت عنه النبرات المختلفة ، ولذلك فان ممثلة أخرى لم تتقن هذا الدور مثلها .

لم تدع الشك يتطرق الى عقلى لحظة واحدة ، من أن عظمتى فى الاخراج تتطاول على عظمة الثالوث المقدس بتفوق . ولم يحدث أن صادفت « سيدونز » و«شارل» مثل ذلك الثناء العاطر الذى صادفته «اديث» و«سيبل». ليتنى أجد عندك من الايمان ما يوازى حبة الخردل !.. حسن ، ما علينا .. كيف حالك الآن ؟ هل تكسبين مالا كثيرا ؟ هل عاد حقا حبـــك العذرى ؟ هل تذكرين « تريستان وايزولد » وتنسين كل خلافاتنا الحمقاء ؟ وهل ساعدك الكتاب على التخلص من الديون ؟ و .. و .. و .. وما هو أسلوب حياتك الآن ؟ اننى سأبلغ الثامنة والستين فى شهر يوليو ، وهذا كل ما لدى من أخبار ، الى جانب ما تطالعينه فى الصحف .

كامبل : حبيبى العزيز « جوى » ..

وصلنى خطابك ، وكان مصدراً غريبا لسرورى . لقد در على الكتاب دخلا يبلغ ٢٥٠٠ جنيه . هل لك أن ترافقنى هـذا الأسبوع فى حفـل المساء لمسرحيـة « القديسة جون » ؟ أظن ان هذا اللقاء سيكون له أثر عظيم فى عـلاقتنا ! .. لقد قرأت كل المديح الذى كلل هامتك ، وكنت سعيدة به ، لأنك تغوص فى أعمـــاق النفس البشرية . وهذا أروع ما وصلت اليه . حتى انك قورنت « بشكسبير » . وأجمع كل المعلقين على ان سر هذا النجاح هو شبابك . هل بلغت الآن الثامنة والستين ؟ لا ، بل قل انك فى الثانية والعشرين ، أما أنا ففى عمر جدتك . ولن أنسى « تريستان وايزولد » .. كنت أنت فى الحـــادية والعشرين ، وكنت أنا فى

السابعة عشرة .. كانت الأنغام تتردد فى الأرجاء .. اننى أحس بشعور الفتاة السمراء التى قبلها الرجل الانجليزى ، فأسرعت لتخبر أمها ان «انجليزيا التهمها». ولكنها فى اليوم التالى ، عادت الى الانجليزى لتقول له : مزيدا من الالتهام ! ..

شو : « يوجه حديثه الى الجمهور » ..

لقد واجهت « ستيلا » أياما قاسية ، واتجهت عقب

الاضراب العام الى اعطاء محاضرات فى فن الالقاء المسرحى . وذاعت شهرتها فى أرجاء العالم كقطة متوحشة . وكان من الصعب عليها أن تحصل على أدوار فى مسرحيات جديدة ، لأن السن كانت تقف لها بالمرصاد ، وكانت الشروط قاسية ، والأقسى من ذلك انها كانت تحتفظ بكبريائها .

كامبل : فبراير عام ١٩٢٩ .

عزيزى « جوى » ..

انني أكتب لك تحت تأثير احساس كبير بأننا واجهنا المعركة الكبرى فى أيام شبابنا ، ولم يبق لنا الآن ما نصارع به ، وعندما تتقدم بنا السن ، ولا نجد سوقا لتجارتنا ، فان الحياة تدير لنا ظهرها ، وتنهش أجسادنا . ان صاحب البيت يرفض دخول التلاميذ الى منزلى . وقد طلب منى أن استأجر مكانا آخر يصلح

لتعليمهم . حسن . انها مغامرة ضخمة للغاية . وربما انفض يدى من هذا الموضوع لو بدأ عرض المسرحية التى ارتبطت بها ، ونجحت فى الدور الذى أقوم به ، وهو دور عجوز يهودية فى السبعين تتكلم بلكنة تتزاوج فيها الاسترالية والفرنسية والشلحتى (١) . هل تأتى لتقرأ على مسرحيتك الجديدة كما وعدتنى ؟ ..

شو : لا أستطيع أن أقرأ مسرحية لامرأة تتضور جوعا ، وآمل أن يصادفك النجـــاح فى دور اليهودية . وأرجو أن أتمكن من الـكتابة عنها . أوه .. ما الذى يمكن أن نفعله من أجلك ؟ ما رأيك فى ريع نرصده لك ؟ ان « سـيبل ثورندايك » تقول : انه يوجـد كثير من الفنانين وهى واحدة منهم، يحبونك ويودون مساعدتك، رغم انهم لم يشـتركوا معك فى التمثيـل .. أيتهـــا الشيطانة . لقـد استطاعت المعونة أن تسـاعد « الين تيرى » على أن تعتزل التمثيل وتموت فى سلام .

كامبل : أنا لا أتضور جوعا .. فأنا آكل أكثر منك . وأنا لا أطلب مساعدة من أحد . وقد حـدث عنـدما ارسلت الى « الين تيرى » شيكا بمبلغ ٢٥ جنيها ، أن بعثت الى بخطاب شكر بدأته بقولها : « عزيزتى! »

أخبرتك ان اسم المسرحية التى أقوم فيهـــا بدور اليهودية هو « الأم المتسلطة » ؛ ولابد أنك قرأت عنهـا فى الصحف . واذا حققت النجاح فى هـــذا الدور ؛ فسوف أوصم بالعار . ولذلك فلن أعقد أى اتفاق آخر

---

(١) لغة اليهود الالمان .

ما لم أكن راضية تماما عن دورى . حبيبى «جوى» أرجوك .. أرجوك .. أرجوك .. انت الذى كتبت لى ذات مرة اننى « صديقتك الى الأبد » .. ان تأتى لتقرأ على مسرحيتك ، سيكون الافتتاح فى الأسبوع القادم ، ويمكنك أن تحضر حتى الساعة الرابعة والنصف يومى الثلاثاء ، أو الجمعة .. أو يوم السبت .. فاننى أتحرق شوقا لمعرفة موضوع المسرحية .

شو : توجهت بالأمس الى المسرح لمشاهدة مسرحية « الأم المتسلطة » ، ولقد أنصفك النقاد ، بعد أن بعثت الحرارة فى خشبة المسرح .. برافو « ستيلا ! » لقد خلق الدور لك دون غيرك ، وبخاصة وأنت ترتدين الأسمال البالية التى جعلت منك مسخا شريرا ، مما ساعد على نجاح الدور .. ولكن ما هذه المسرحية ياسيدة الأحزان ؟ تقضين ساعتين في واقعية لا فن فيها ، وأنت تؤدين دور المرأة الكريهة ، وتبذلين الجهد الكبير حتى لا يفر الجمهور من المسرح . ولو أردت الحقيقة العارية ، لأدركت ان الجمهور ظل فى مقاعده ليرى « مسز باتريك كامبل » وهى تثرثر، وكله أمل فى أن تتاح لها الفرصة لكى تقدم مشهدا دراميا. ان المشهد الوحيد الذى أعجبنى هو مشهدك وأنت فى ردائك الأحمر . أوه .. لو عرف « ج . ب . سترين » « أعنى ج . ب . ش . الصغير » أين تكمن عبقريتك الفنية !.. أخبريه أن يرى مسرحيتى الجديدة ليقف على مدى نجاحك الباهر فى المقاطع التى اكتبها خصيصا لك . وشكرا لك يا «سترين » اذ منحتها الحياة بهذا الدور . أما بالنسبة لمسرحيتى « عربة التفاح » ، فاننى

أشعر بالخجل من قراءة المشهد الوحيد الذى كتبته لك فى المسرحية .

كامبــل : « تنهض » : ماذا تقول ؟ لقـد توجهت لأمس الى حفل « سيلفريدج » ، وقد التقيت هناك بمس « اديث ايفانز » التى فغرت فاها دهشة عندما أنبأتها انها تسرق دورى فى مسرحية « عربة التفاح ».. وكانت المسرحيـة محور حديث الجميع . لقـد كانت فضيحة كبرى ، ولذلك رأيت لزاما على أن أكتب اليك فى الحال .. انها مأساة وطنية ، بل اهانة مريرة .. الخ .. الخ .. « تبتعد » ..

شو : « مقاطعا » : لاداعى للثرثرة الآن حتى لاتصل الحقيقة الى أسماع العامة ، بل والصـحافة كلها .. واحتفظى بالأمر سرا بيننا .

كامبل : كيف يـكون سرا بيننـا ، وقـد أخبرتنى « اديث ايفانز » انها تؤدى دورى فى المسرحية ؟

شـو : ان الأمر لا يبدو أن يكون مجرد تخمين من جانبها . وربما توجد ممثلات أخريات يتخيلن مثلها انهن يعرفن الحقيقة . وليس هناك من يعرفهـا سـوانا .. أنت وأنا ! ومهمتنا الا تصل اليها الصحف .

كامبل : لا ياحبيبى « جوى » .. أتمنى لو استطعت الحصول على النص لأناقش الأمر مع المحامى .. فأنا على يقين من انها تضم بعض التلميحات التى تشير الى

علاقتنا .. إنك تشهر بى، ولذلك سأحاول منع عرضها.

شو : لا أشعر اننى أخطأت باستخدام هذه التلميحات .. فهى تساعد على نجاح المسرحية .

كامبل : أوه !.. انت دجال !

« تعبر المسرح متجهة الى النافذة ، وتتطلع عبر الفضاء » ..

شو : حقا ، كل واحد فينا دجال! لماذا لم تستفيدى منى كما استفدت أنا منك ؟ ! هل تذكرين مسز «هزيون هشاباى» فى مسرحية «منزل القلوب المحطمة » ، والحية فى مسرحية «العودة الى متوشالح» التى استمعت اليها بصوتك . كذلك فانك لم تذكرى لى « اليزا »..
هل تظنين ان كل هؤلاء البطلات مجرد دعاية ؟ لقد توهمت انك مصاصة دماء وأنا الضحية ، ولكنى أنا الذى مصصت دمك حتى ترهلت ، وفقدت أنت كل شىء . وسأكون منصفا مع هذه المسرحية ، كما كنت أنت منصفة مع رسائلنا . ستشاهدين هذه المسرحية ــ حبيبى الكذاب ــ وقد حازت اعجاب الجميع كما حازت اعجابى . انها تذكرنى بالأيام السالفة التى أمضينا فيها فترات بعد الظهر سويا فى بيتك بميدان كينسنجتون والآن ، ألا تدهشك ما تميزت بها تلك اللقاءات من النقاء والطهارة ، رغم كل هذه الضجة التى تثور حول علاقتنا ؟ ! .. سأحضر لزيارتك فى البيت ، وسوف نقوم بقراءة المشهد سويا بصوت عال ..

« بسير ناحية « ستيلا » وهو يحمل أصل المسرحية » ..

اليك المسرحية ..

« تأخذها فى تذمر » ..

أنت تمثلين دور « أورينيثا » . المشهد تدور أحداثه فى غرفتها ..

« يحرك مقعدها حتى منتصف المسرح » ..

انت الآن تجلسين الى المكتب لتدوين بعض الملاحظات. كلك فتنة وجاذبية وثيابك جميلة وساحرة . والمكتب موضوع لصق الحائط بينما يبدو ظهرك للجمهور .. وهنا يظهر الملك « ماجنوس » وهو ينتظر على باب الغرفة .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : من هناك ؟ ..

« تجلس على المقعد وتقرأ » ..

شو : « فى دور ماجنوس » : جلالة الملك .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : قل الملك انني لا أرغب فى رؤيته .

شو : «فى دور ماجنوس» : انه ينتظر لحظة سرورك،

ولذلك جاء ليجلس الى جوارك .

« يسحب مقعدا ويضعه قريبا منها » ..

كامبل : « فى دور أورينثيا » : ابتعد عنى .. «لحظة صمت » . لا أريد أن أتحدث معك .. « لحظة صمت أخرى » . سأتخذ لنفسى منزلا بعيدا اذا كنت تظن انه يمكنك أن تقتحم الأبواب ما دمت فى قصرك ، أو اذا كنت لا تسلك سلوك النبلاء .

شو : « فى دور ماجنوس » : ياحبيبتى .. ماسبب غضبك اليوم ؟ ..

كامبل : « فى دور أورينثيا » : اسأل ضميرك ..

شو : « فى دور ماجنوس » : عندما يصيبك الجزع ، يفزع ضميرى . يمكنك أن تخبرينى اذن ؟ ..

كامبل : « فى دور أورينثيا » : انظر هناك الى هذا الكتاب . « تريه الكتاب » .

شو : « فى دور ماجنوس » : ما هذا ؟ .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : اقرأ الكلمات الثلاث الأولى .. اذا كانت لديك الشجاعة .

شو : « فى دور ماجنوس » : الى حبيبتى، أورينثيا

كامبل : « فى دور أورينثيا » : الاسم الذى تعمدت أن تخترعه خصيصا لى أنا المرأة الوحيدة التى لك فى الدنيا . هذا الاسم التقطته من سلة المهملات فى مكتبة لبيع الكتب القديمة فى حين انى ظننتك شاعرا . انت ملك الـكذابين والمخادعين .

« ثم تعود الى دور كامبل » : هـذا صـحيح ياعزيزى « جوى » .

« ثم فى دور أورينثيـا » : ألا تدرك أن مثل هـذا الزيف يجرح كبريائى ؟ « ثم تبتعد عنه » . . .

شو : لا حاجة بك الى مثل هـــذه التعليقات . . ياعزيزتى « ستيلا » . « فى دور ماجنوس » : يجب الا تدعى انك قد جرحت اذا كان ذلك لم يحدث فعلا. اننى أشعر بالألم يعتصر قلبى .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : منذ متى كان لك هذا القلب ؟ هل اشتريت قلبـا قديمـــا مستعملا . « لنفسها » أحب ذلك القلب .

« تعـــود الى دور أورينثيا » : انصت الى يا ماجنوس . . لم لا تكون ملكا حقيقيا ؟ . . .

شو : «فى دور ماجنوس» : وكيف الوصول الى ذلك ياحبيبتى ؟ . .

كامبل : « فى دور أورينثيـا » : انت فى حاجة الى

ملكة حقيقية .. اذا كنت ترغب حقا فى أن تكون ملكا حقيقيا ! ..

شو : « فى دور ماجنوس » : ولكن لى ملكة .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : آوه .. انت أعمى ، بل أسوأ من الأعمى . وتتميز بحقارة الذوق .. فالسماء تقدم لك وردة ، ولكنك تأبى الا أن تتعلق بقنبيطة .

« فى دور مسز كامبل » : هل هذا يلائم « شارلوت » .. ياعزيزى « جوى ؟ » ..

شو : انها استعارة موفقة يا عزيزتى .. فالرجل العاقل لن يرضى أن يعيش مع القنبيط ، اذا كان عليه أن يختار بين الورد والقنبيط . وفوق ذلك .. يجب عليك أن تعلمى ان الرجل لا يسأم زوجته ويهجرها لأنها فقدت ملامحها الجميلة ، ولكن لأنه وجد فى الحب الجديد فيما اكثر مما وجده فى الحب القديم .

كامبل : لماذا تخبرنى بذلك ؟ ولماذا لم تخبر الأخريات برأيك ؟

شو : لماذا ؟ .. لأنك تزوجت مرتين ، وكل واحد من هذين الزوجين فر منك الى أحضان امرأة أكثر غباء وسذاجة منك ! ..

كامبل : هل اخبرك بالسبب الذى دفع بكل واحد منهما الى عدم مشاركتى حياتى ؟ ذلك اننى كنت أعظم منهما شأنا وأرفع مكانة ، فلم تقو أعصابهما على مسايرتى فى الحياة .

شو : عجبا . . لديك هذا الضمير الالهى الذى يضفى عليك بهاء وهو فى غنى عن أى دليل لتأكيد وجوده .

كامبل : هل تسخر منى يا « جوى » ؟ أنت تعلم أن « بات » لم يهجرنى ولكنه قتل بشرف فى حرب البوير .

شو : عزيزتى « ستيلا » . . اننى لا أقصد ان «بات» و «جورج» هما زوجا « أورينثيا » وانما أقصد ملايين الرجال الذين قتلتهم حرقة الأشواق ، بعد أن عجزوا عن التهامك .

كامبل : فاسق ! . . يجب الا يكتب هذا المشهد ! . .

« تلقى بالنص أرضا ، ولكنه يلتقطه ويقدمه اليها »

شو : أرجوك . . استمرى فى القراءة ياعزيزتى « ستيلا » !

كامبل : « فى دور أورينثيا مرة أخرى » : ماجنوس . . متى تستطيع مواجهة ما حكم به القدر بينى وبينك؟

شو : « فى دور ماجنوس » : ولكنك نسيت زوجتى؟

ماذا يكون مصير الملكة « جمينا » ؟

كامبل : « فى دور أورينثيا » : أوه .. اغرقها .. اقتلها .. أطلب الى سائقك أن يلقى بهـا فى الجحيم ويدعها هناك . ان هذه المرأة تجعل منك أضحوكة .

شو : « فى دور ماجنوس » : لا أظن اننى أستسيغ ذلك . كما ان الشعب سوف يرى انه ليس من الشهامة أن أفعل ذلك .

كامبل : « فى دور أورينثيا » : أوه .. انك لم تدرك قصدى .. اننى أعنى أن تطلقها أو أن تدفعها الى أن تطلقك . وهذا أمر يسير جداً ، ويستطيع أى انسان أن يفعل ذلك اذا احتاج الى أى تغيير .

شو : « فى دور ماجنوس » : ولـكنى لا أستطيع أن أعرف كيف أعيش بدونها ! ..

كامبل : « فى دور أورينثيا » : ولا أحد يستطيع أن يتخيل ماذا تفعل معها ..

«فى دور ستيلا» : وانت ماذا تفعل ياعزيزى «جوى؟»

«تعود الى دور أورينثيا» : يمكنك أن تزور «جمينا» كلما أردت .. عندما نتزوج .

شو : « فى دور ماجنوس » : هذا كرم اخلاق منك

ياعزيزتى « أورينثيا » ولكنى أفضل أن أتزوج الشيطان من أن أفعل فعلتى . ليست وظيفتك أن تكونى زوجة.

كامبل : « فى دور أورينثيا » : انت تظن هذا لأنك تفتقد متعة الخيال . اننى أستطيع أن أمنحك السعادة التى لم يستمتع بها أى رجل على الأرض .

شو : «فى دور ماجنوس» : اننى أتحداك أن تمنحينى مزيدا من السعادة ، أكثر من تلك التى حققتها لنا علاقتنا البريئة .

كامبل : هذا غير معقول ! « تلقى بالنص على الأرض»

شو : اسمعى .. لم يبق الا القليل « ويواصل قراءة باقى النص » .

ويتكلم « ماجنوس » وهو يتطلع الى ساعته : على الآن أن أعود الى عملى ..

فترد عليه « أورينثيا » قائلة : ما هو ذلك العمل الهام الذى ينتزعك منى ؟

ــ لا شىء البتة ! ..

ــ اذن .. اجلس ..

ــ حسن .. ولكننا نتناول الشاى فى الرابعة والنصف .

فتقول محاولة أن تبقيه معها : اترك موضوع الشاى الآن ! ..

ـ انت تحاولين تأخيرى عن موعد الشاى حتى أسبب الضيق لزوجتى ! ..

يحاول أن ينهض ، ولكنها تجذبه وتجلسه . يقول لها :

ـ دعينى أذهب .. من فضلك .

ولكن « أورينثيا » تمسك به قائلة : هل تخاف من زوجتك .. أيها الزوج الخنوع ؟ ..

ـ زوج خنوع !.. لماذا تقولين ذلك ؟. على الأقل.. ان زوجتى لا ترغمنى على البقاء بالقوة .

.. « يحاول ان ينهض فتجذبه مرة أخرى . »

ـ هل أنادى الحرس ؟ ..

ـ أفعل .. بربك افعل .. وستكون الفضيحة على صفحات الجرائد غدا .

ـ انت شيطانة .. يا أورينثيا ! اننى آمرك ..

وتضحك « أورينثيا » : ها .. ها .. ها ..

ـ حسن !.. أيتها الشيطانة ، دعيني أرحل ..

يحاول أن يخدعها ليهرب ، ولـكنها تطوقه بذراعيها وتضمه الى صدرها فى نشوة عارمة . وأخيرا يسقطان معا على الأرض وهما يتقلبان . ويفتح البـاب فجأة ، ويدخل « سميرونيوس » السكرتير الأول للملك . يفغر فاه من هول الموقف ، بينما ينسدل الستار على هـذا المشهد الفاضح .

« يوجه الحديث الى كامبل التى جلست وقد

كسا وجهها فزع واضح » .

ما قولك ؟ ألم أكتب صورة رائعة عنك ؟

كامبل : ان الرجل المهـذب لا يستطيع أن يقبل ، ثم يذهب فيحدث الناس عن قبلاته . ألم تقل هذا مرة . مزق هذا المشهد .

شو : ماذا أفعل ؟ ..

كامبل : مزق هذا المشهد ، وأعد كتابته بكل صدق وأمانة ، بحيث تضم اليه الأحاديث المحـــذوفة التى تبادلناها .. وكانت موجهة ضد زوجتك «شارلوت» . ان الناس سوف يتهمونك بأن تقدم السن والغرور قد سلبا منك القدرة على الحكم العادل

شو : لقد أصبحت «أورينثيا» فى غير ذورك ، ولذلك أحس فى نبراتك برياح الاستعلاء التى تلفحنى .

كامبل : هل أنا أفعل ذلك ؟ هل تعرف من تكون ؟ انت ذلك الذى يطلق عليه الاغريق اسم « امفيسبانيا » .

شو : وماذا يكون هذا الـ « امفيسبانيا » ؟ ..

كامبل : مخلوق له راسان فى طرفى جسمه ، وكل رأس منهما يسير فى اتجاه مضاد للآخر .

شو : « يوجه حديثه الى الجمهور » .

ومضت سبع سنوات .. سنوات تقدم بنا فيها العمر ، وازددنا خلالها شراسة ، وتزايدت الجفوة بيننا ..

« يعيد الكرسى الى مكانه » .

وقد طلبها كثيرون للذهاب الى هوليوود ، طوال فترة القطيعة التى سادت بيننا ، وكانت ترفض دائما .. ولكن عندما ظهرت السينما الناطقة ، فكرت فى أن تقبل العرض ، ورحلت الى هناك ومعها أمتعتها . ولكنها لم تكن على استعداد لمواجهة الحياة فى جنوب كاليفورنيا رغم ترددها على أمريكا عدة مرات مما دفعها الى الاعتقاد بأنها على صلة وثيقة بها . وكانت تنظر الى

ملوك وملكات السينما فى هوليوود ، رغم شهرتهم كنجوم ، على انهم مجرد أسماء .. حتى انها لم تستطع أن تتمالك نفسها من السخرية منهم عندما التقت بهم فى حفلات « بيفرلى هيلز » .. فقد سألت « جون كراوفورد » ماذا تفعل .. وقالت « لجون جلبرت » الذى يعتبر أحب نجوم الأفلام الصامتة : أيها الرجل الصغير .. من واجبك أن تحاول التمثيل فى الأفلام الصامتة . وكان سلوكها سيئا عند الاستعداد للتمثيل. واليكم قصة فيلمها الأول .. فقد وقفت فى البلاتوه ، وطلبت المخرج الذى سألها : كيف حالك ؟.. فقالت : حسن .. هل لك أن تخبرنى بتفاصيل القصة حتى أناقشها معك .. فأجاب : فعلا .. انت تقومين بدور أرملة بحار ، فقط انت لا تعلمين بموته ، وانما تنتظرين عودته . أولا سأسرد عليك دورك فى المنظر الأول الذى نقوم بتصويره .. انت تدخلين الغرفة ، وتغلقين الباب وراءك ، ثم تمضين الى المنضدة لتلتقطى المنظار وتتطلعى من خلاله الى البحر .. هل ترين انه يمكنك تأدية هذا الدور ؟ .. فأخبرته بأنها تظن أنه يمكنها تأديته .

فأجاب : اذن ، سنبدأ التصوير فى الحال . ودارت آلات التصوير ، ودخلت « ستيلا » الغرفة ، والتقطت المنظار وسارت تجاه النافذة ، ورفعته الى عينيها ، ثم توقفت واستدارت الى المخرج لتسأله : أى عين انظر بها خلال المنظار ؟ ! ..

ولا حاجة الى أن اقول انها لم تكن محبوبة من الجميع . وأخذت الأدوار التى يعهد اليها بها تتضاءل

وتتضاءل حتى لم يعد لديها مال تنفق منه . أوه لقد حاول الناس مساعدتها ، ولكن لا فائدة ترجى. وقال « اسكندر وولكوت » عنها : انها تشبه الباخرة التى تغرق الى الأعماق ، بينما يحرق لهيبها كل من يحاول انقاذها ! ..

وبقيت فى صحبة كلبتها «مونبيم» ، ورفضت أشياء كثيرة من أجلها ، ولم تعد الى انجلترا بسبب قانون الحجر الخاص بالكلاب ، فهى لا تستطيع السفر بدونها . واقترحت عليها أخيرا أن تقوم بدور صغير فى مسرحيتى « المليونيرة » ، وهى من اخراج نقابة المسرح ، ولكنها ظنت انهم يوجهون اليها الاهانة ، ولذلك رفضت أن تذهب الى هناك .

« يضع الكرسى الى جانب المكتب » ..

وفى ابريل عام ١٩٣٥ ، بدأت تعيد التفكير فى المسرحية بعد ما سمعته عنها ..

« ويعود إلى المكتبة » ..

وأخشى أن يكونوا قد طلبوا اليها القيام بدور البطولة فى المسرحية ، وهذا ما كتبته فى خطابها الذى أرسلته الى من هوليوود ..

« يعود ليجلس على مقعده » ..

كامبل : « تردد العنوان وهى تسير ببطء ناحية المقعد لتجلس عليه » ..

برج الغروب ـ طريق الغروب ـ هوليـــــــوود ـ كاليفورنيا .

عزيزى « جوى » ..

غمرتنى مشاعر السعادة عندما تسلمت رسالتك . ان نقابة المسرح وفكرة التعاون معها ، أمر غير محتمل. انهم يعاملون الفنانين مثل بالات القطن . أبعث مع خطابى هذا بصورة لى التقطت منذ ستة أشهر ، وأرى اننى ما زلت محتفظة بكيانى ، فهل ترغب حقا فى أن أقوم بدور فى مسرحية « المليونيرة » .. أليس هذا رائعا ؟ اننى لا أعلم تفاصيل الدور . لا أعرف شيئا عن الحوار أو الأحداث . لقد علمتنى هوليوود وصناعة السينما ألوان المذلة والهوان العميق ، فلا داعى أن يخشانى أحد . هل تعلم اننى قمت بالعمل ثلاثة أشهر خلال الستة عشر شــــــهرا التى قضيتها فى هوليوود . ان المسئولين يرددون دائما ان شهرتى لا تناسب الأدوار الصغيرة ، وان لهجتى لا يفهمهـا أهالى « كالامازو » و « بوث مونتانا » و « سيتل » . وكلما قرعت باب وكلائى وجدتهم يقولون لى : ان مترو جولدوين ماير ، تفكر فيك ، ولكنها لا تجـد الدور الملائم لك . اننى لو اعتزلت هذه الحياة ، فانه يمكننى أن أعيش فى فلورنسـا ، ولـكننى لا استطيع أن أكتب دوافعى . أليس غريبا اننى لا أكترث كثيرا اذ أتطفل عليك .. لأننى فى ضائقة

مالية !.. أستطيع أن أعيش لمدة ستة أشهر ، ولكن لن يصلني أي مورد قبل مرور ستة أشهر أخرى ، فهل تمد لي يد المساعدة ؟ انني لم أعد أهتم كثيرا ، اذ أجد نفسي لا أحارب في ميدان المعركة حتى النهاية .. ولكن أن أترك في خضم هذا الفضاء وحيدة في هذا المكان ، فهذا ما لا أستطيعه فعلا . انظر الى كلبي « مونبيم » .. هل يطاوعك قلبك على أن أتركه في الحجرة ستة أشهر ؟ هل زرت مثل هذا المكان من قبل ؟ هل يكتب على هذه المخلوقات الرقيقة أن تقاسي ضباب نوفمبر ، والظلام ، وبرد الشتاء القاسي ، دون أن تسمع الأصوات الأثيرة الى قلوبهم ؟ فكر فيما يعنيه كل هذا بالنسبة لكلبي. لقد راقبته وهو ممدد أمامي، وأحسست بهذه الأهوال تدب في أوصالي ، ولهذا اتخذت قراري بأن أضع مسئولية كلبي امام الأمة ، ومستقبلي ، لأنني ربيته ، فكيف لي أن أخونه ! انتبه لنفسك يا عزيزي « جوي » وتكاسل قليلا .

حبيبتك الوفية .. « ستيلا »

شو : ١١ أغسطس ١٩٣٧ ..

لقد تقدمت بي السن ، وأشعر بالوهن وانا أقترب من نهاية الحادية والثمانين ، ولذلك أجدني مضطرا لتصفية ما لدى من الأوراق قبل أن تقترب منيتي .. وقد وجدت انني قد ارتكبت اثما ، فقد احتفظت بجميع رسائلك رغم انني عاهدت نفسي ألا احتفظ الا بالأوراق الضرورية التي تذكرنا بعملنا . كذلك فقد

احتفظت برسائل « الين تيرى » لأن جمال خطها منعنى من حرقها.. تماما كما لو كنت انوى حرق مجلد فرنسى عن القرن الخامس عشر .. على انني لم أشعر بمثل هذا السبب وأنا أقلب رسائلك ..

« ينهض » ..

لقد عزمت على شراء صندوق جميل من ذلك النوع الذى يحتفظون فيه بالمجوهرات ، وذلك لكى احتفظ فيه بجميع الرسائل . ولكنى لم ألبث أن وجدت ان أسهل وسيلة وأكثرها أمنا ، هى أن أضع الرسائل فى مجموعة من الخطابات المسجلة ، وأبعث بها اليك حتى يمكنك أن تحتفظى بين يديك بجميع المراسلات التى تبادلناها . وهى لاشك ستكون لها قيمتها لديك ، اذا احتجت الى بيعها .

« يسير نحو المقعد ، ويبدو وقد تقدمت به السن » ..

وأسعدنى كثيرا أن أعلم من خطابك — ما كنت أود ألا تفضى به — انك ما زلت « ستيلا » العزيزة .. وأنا بدورى أود من أعماقى أن أظل « جوى » العزيز ، ولكن على الآن أن أرضى ، فلم يعد لى من سمات الرجل .. الا البنطلون .

« يجلس » .

كامبل : « تخفت الأضواء المسلطة على « شو »

أثناء الحديث التالي » ..

نيويورك — أغسطس ١٩٣٧ ..

عزيزى « جوى » ..

انني في انتظار وصول رسائلك المسجلة . انني أشعر بقبضة قوية تعتصر قلبي ، ويدفعني حنين طفولي الى اعادة قراءتها . ولست أدرك السبب الذى يدعوك الى أن تنثر رمادك ورماد « شارلوت » قبل أن تنتهي رسائلك الى . دعهم يقرأون رسائلنا الآن ، فخلال الخمسين سنة القادمة سيحيا الانسان فى الفضاء ، ولن يتاح لأحد قراءة الكتب الا البقية الباقية من العامة الذين يعيشون فى عصر الجاز والقطارات . كنت تغرد لى دائما وأنت تكتب رسائلك، ولذلك سيجد المسافرون بالطائرة فى رسائلك خير رفيق . انها أغنية الموسم ، ولن يقبل عليها أحد اذا انتظرنا خمسين سنة أخرى حتى ننشرها على الناس . هل بلغت الحادية والثمانين؟ يا له من عمر ! تذكر عمر هذه الأغنية التى يرددها صوتك .. واحد وثمانون عاما أو يزيد . أن « جيمس باري » (١) وآخرين يتوقفون عن الرحيل انتظارا لهذه الأغنية . وقد خصص لى « باري » مبلغ خمسمائة جنيه سنويا ، أدفع منها مبلغ ٨٣ دولارا أجر اقامتى فى

---

(١) جيمس بارى : « ١٨٦٠ — ١٩٣٧ » الكاتب المسرحي والقصاصي الاسكتلندى الشهير ، وكانت له طريقة اشتهرت باسمه فى كتابة القصة والمسرحية ، وهى طريقة تمتزج فيها العاطفة والخيال مع واقع الحياة ، وذلك كله في اطار فكاهة رقيقة حلوة

الفندق ، فى غرفة أشبه بالثلاجة . اننى ارسل اليك صورة لكلبى ، لعل قلبك يلين ، وأرسل لك أيضا فصلا من كتابى ، فاذا طالعته أمكنك أن تدرك سبب فرارى من هوليوود ، واللجوء الى كابين يقع على ارتفاع سبعة آلاف قدم عن سطح البحر . لقد أمضيت شهورا رائعة ، واستمتعت بجمال الطبيعة الخلاب ، وعشت مع كتابى أخط فيه الصفحات ليلا ونهارا . ولكن يا للأسف .. لقد أصبت بارتفاع ضغط الدم ونوبات من الاغماء . وقد شخص الطبيب حالتى بأنها « عمل متواصل ومجهود كبير للغاية » . وقد تعودت مديرة البيت أن تقبل كل يوم على أطراف أناملها لتسألنى ، وأنا أفتح عينى : لقد ظننت انك قد مت ، ولكننى أجدك تبتسمين ، وأرى كلبك يهز ذيله ! .. ومرة همست فى أذنى : لقد اقتصدت من أجرى ، فاذا كنت فى ضائقة مادية ، فأرجو ألا تمنعك الكبرياء من طلب المعونة .. ولكنى لم أطاب منها أن تتوقف عن الاسترسال فى مثل هذا الكلام . انها مخلوقة كريمة وطيبة القلب .

لقدعدت الى نيويورك، واقمت فى هذا الفندق الصغير ومكثت فى الفراش طوال تسعة أسابيع . وقد عثر « جون جليجور » على هناك ، فجاء لزيارتى وهو يحمل باقة من الزهور ، والدموع تترقرق فى عينيه ، ثم صحبنى فى جولة قصيرة فى سيارته ، ومد لى ذراعه لأستند عليها ونحن نسير على مهل ، بينما كلبى يحوم حولنا . وقد طلب منى أن أرى « هاملت » وأنقدها ، فأجبته الى طلبه . وما أشعر به الآن هو الراحة .. الراحة التامة . لقد عدت توا من التمثيل فى مسرحى

« كوهاست » و « كونيكستيكت » وكان عزائى هو ما لقيته من ترحيب وحماسة لدورى الذى أقوم به كل ليلة.

لا اتوقع ان ترد على رسالتى هذه ، وكل ما أود أن تعرفه هو أسلوب حيـــــاتى خلال السنوات القليلة الماضية . انها عواطفك التى كانت عزائى فى محنتى ، والتى كانت تدفعنى بعيدا عن الهاوية التى يمكن أن أتردى فيها ؛ وتضعنى فى مكان قريب منك .. وأنا جد فخورة بذلك ..

شو : « يوجه حديثه الى الجمهور » ..

سقطت صريع المرض قبل أن أجيب عن رسائلها التى مست شغاف قلبى ، ورددت بعض صحف نيويورك نبأ مونى ، وأحاطته بتنهدات الراحة من أقسام التحرير ، ولـكنهم اكتشفوا زيف الخبر .

كامبل : لاجوردى جاردا .. مايو ١٩٣٨ ..

عزيزى « جوى » ..

قرأت خبر مرضك فى صحف نيويورك ، وقد قمت برحلة الى ايطاليا ، أفادتنى كثيرا .. تركت أمريكا على ظهر باخرة حتى وصلت الى بولينا . وقد شعرت بآلام الروماتيزم فى ركبتى ، ومكثت أقاسى طوال عدة شهور وكان قد نصحنى الطبيب فى امريكا أن أســـتند الى « عكاز » طوال ثمانية عشر شهرا ، ولكن الطبيب الايطالي

ابتسم قائلا : لن يمضي خمسة عشر يوما حتى أراك ترقصين .. وفعلا ما كدت أقضى اثنى عشر يوما بين أكياس الطين المشبع بالراديوم حتى شفيت تماما . ولكن ما يهمنى حقا هو أن تتحسن صحتك ، لأن أمرك يزعجنى كثيرا .

شو : « ينهض » : انه عصر المعجزات ..

« يسير ناحية المكتب » : عدت الى مكتبى مرة ثانية . وقد عالجنى الأطباء الذين كانوا ينقضون على كل خمسة عشر يوما لطعنى بحقنة تحت الجلد .. وفى الوقت الحالى ، فاننى ما زلت حيا . ولو اننى أرى فى الابقاء على حياتى ، بعد أن بلغت الثانية والثمانين ، تدخلا سافرا فى شئونى .

« يجلس على المقعد » ..

ولكن على اية حال .. فان الرفيق « هتلر » موجود ، ويمكنه قتلنا اذا لم يقم الأطباء بهذه المهمة ! ..

كاميل : عزيزى «جوى» .. توقف عن هذه الخيالات المضحكة عن تقدم العمر ، فلا أظن انك ستفقد العظمة التى تتوج حياتك وهى تغرب. لقد بلغنى نجاح «بيجماليون» بعد اعدادها للسينما ، ولابد انك ستصيب كسبا ماديا كبيرا ولكن ماذا ستفعل به ؟ هل تذكر الجهد الذى بذلته في بداية حياتى الفنية ؟ كان ذلك منذ ثلاثين عاما !

لقد حملت المسرحية الى ، واخبرتنى اننى سأقوم بدور «أليزا» .. هل تذكر سيل الشتائم الذى كنت تصبه على رءوسنا أثناء التدريبات !.. لقد قتلت « ترى » تقريبا عندما استعملت هذا التشبيه التالى : « ترى .. يجب ألا تكونى شجرة معوجة ! » . وطبعا نسيت هذا الأمر تماما ، أو ربما تكون قد أرسلت هدية عيد الميلاد . غير انك ظللت تردد على الأسماع اننى لا أصلح للمسرح ، لأننى لم أستطع الاستمرار دقيقة واحدة ..

« تنهض وتسير الى مقدمة المسرح ، وتتحدث الى الجمهور » ..

... ولكنى وقفت على قدمى ، وتقدمت حتى غمرتنى الأضواء . وقلت : سأترك المسرح اذا لم يتركه

« مستر شو» !.. وتجرأت على اتهامى باذلال الناس. هل يمكنك أن تخبرنى ماذا قدمت منذ غمست قلمك فى المحبرة ؟

« تعود لتجلس على المقعد » ..

شو : لو أتاح لى الزمن أن أكتب ذكرياتك ، لجعلت منك أشهر امرأة فى أوربا وأمريكا . لم يعد عندى مال ، وعلى أن أسدد للحكومة مبالغ كبيرة فى الشهرالقادم . ولم تدفع لى السينما أى مليم ثمنا لعرض فيلم

« بيجماليون » وعندما بذلت وساطتى لكى تعودى ، كنت أشبه بمن يسعى لعودة الشيطان نفسه.. ستكونين مصدراً لتعبى وتعب الآخرين . وشكرا للكلب الذى دفعنى الى بذل الجهود فى سبيل عودتك .. واذا واتتك القدرة ، فيمكنك تأليف كتاب تحت عنوان :

« لماذا لا يقوى أى مدير على التعاقد مرة أخرى مع ممثلة عظيمة مثلى ، أذا كان فى استطاعته أن يفعل ذلك ؟ » ..

ولكنك لن تستطيعى تأليف مثل هذا الكتاب ، بل ولن تفكرى فى تأليفه ..

كاميل : غير معقول ! لقد تعاقد معى « الكسندر » ست مرات وتعاقد «فوريس روبرتس» معى تسع مرات .. وتعاقدت أربع مرات مع « جيرالد دى موريبه » ومرتين مع « هير » وأربع مرات مع « ترى » ، ولكن لن أزعج نفسى بهذه الرغبات التافهة . وكل ما يشغلنى الآن هو مصير هذه الخطابات اذا اقترب منا سعير

الحرب . لقد رتبتها فى علبة القبعات ، وأخفيتها تحت السرير .. وهكذا أصبحت ياعزيزى « جوى » تختفى تحت سريرى !.. اننى أعيش فى هذه الغرفة الصغيرة ، وعندما وقفت أتطلع من النافذة ، طالعتنى حدائق التوليرز ، وتغمرنى شمس باريس بأشعتها ، وقد

تشابكت صفوف الأشجار الكثيفة على طول الطريق. ولذلك فانني أستطيع الخروج وأنا مبتلة وأيضا وأنا فى كامل أناقتى . ان دوق « وندسور » وزوجته يعيشان على بعد ثلاثة منازل من غرفتى ، ويبدو على وجهيهما كل مشاعر الراحة والهدوء .

انني أشم رائحة مسرحية أخرى لك .. وفى هذه السن ! ..

شو : ان مسرحيتى الجديدة « جنيف » تبعث على الرعب !.. لقد وصفنى الناقد المهذب بأننى قرد محترم يخفى عن الجمهور ما يحمله من جوز الهند . وقد ذهبت لمشاهدة المسرحية ، ولكنى خرجت منها وأنا أشعر بالألم ، وان كانت تناسب الممثلين . ان حفلات العرض مكتظة بجماهير المشاهدين ، كأنهم فى اجتماعات الانتخابات . على أن أكتب مسرحيات أخرى مثل « جنيف » تلبية لرغبات الآخرين ، ولكن ذلك لم يكن فى وسعى ، فقد زحفت الحرب وانتهى الأمر . انت وحدك يا « ستيلا » التى خلقت « جوى » على المدى البعيد جدا .

كامبل : أنا خلقت « جوى » ؟ لقد أثارتنى كلماتك المكتوبة ، واو ان ما تقوله هو زيف ، ذلك ان «جون» مدع وخادع !.. لا عليك . لن أدع وقتك يضيع هباء بمزيد من رسائلى المضحكة . اننا سنلتقى فى السماء ، وسوف تنحنى لى . وسأكون كريمة معك فأرد لك الانحناءة . وستقول الملائكة بعضها لبعض : « لم يعودا

يسخران أو يفسدان عالمنا الملائكى » ! ..

شو : « تبدو عليه السن الكبيرة وهو يتجه بالحديث الى الجمهور » ..

كتبت لى « ستيلا » رسالة واحدة ، وزددت على رسالتها بعد شهر .. هذا ما حدث بيننا . وكان خطابها مؤرخا بتاريخ ٢٨ يونية ١٩٣٩ . وفى ذلك التاريخ كان « هتلر » يحشد دباباته على خط ماجينو، واقتربت نيران الحرب العالمية الثانية منا . وأرسلت خطابا الى «ستيلا» أخبرها فيه ان رجال السينما قد اختاروها للقيام بدور فى فيلم « الميجور باربرا » .. ترى ، هل ما زالت جادة فى العودة الى ميدان التمثيل ؟

كامبل : نعم ما زلت جادة فى العودة الى «الميدان» ، وان كنت لست فى نفس قوة رجل المدفعية . وقد قدمت نفسى الى المسرح الانجليزى للعمل فى مقابل خمسة وعشرين جنيها فى الأسبوع . . أوأقل . وارسلوا الى المسرحية لقراءتها ، وكان الدور يتطلب منى تمثيل شخصية أم يهودية لها ابن أبله ، هوايته قتل الفتيات الصغيرات ، واخفاء جثثهن فى سجادة أمه البالية . وكان على أن أردد الحوار التالى : يجب علينا ألا ندعه وحيدا .. وقد سألت المدير عن السبب الذى دفعه الى اخراج مثل هذه المسرحية ، فأجابنى : يجب أن نقدم لهم شيئا جديدا .. شيئا لم يسبق لهم رؤيته فى لندن . وقد أجاب المدير عن تساؤلى عن « هم » و « من » قائلا : « السائح الانجليز ». لقد ظن المخرج اننى « ستيلا

الصغيرة » ، ولم يصدق اننى أبلغ الرابعة والسبعين من عمرى ، وان شئت الدقة فاننى ولدت فى يوم ٩ فبراير ١٨٦٥ . وأملى أن أرحل الى جنوب فرنسا ، وأعيش فى ذلك الفندق الصغير بنفس الأجر .. فقط لو أعد اعدادا جميلا . هناك سوف أستمتع بأصوات العنادليب ورائحة زهورالبرتقال.. لقد اعتدت البؤس والشقاء . والحقيقة المرة هى اننى أفتقـد الذراع التى يمكن أن أتوكأ عليها وأنا أعبر الطريق ، حاملة كلبى « مونبيم » فأتحاشى خوض خضم حركة المرور الرهيبة ..

« ستيلا »

« تبدأ الأضواء المسلطة عليها تخف قليلا » ..

شو : ٤ وايت هول كورت ..

٢١ أغسطس ١٩٣٩ ..

لقد تقاعد العملاق ، وزوجته تشكو من اللمباجو . كان « بسكال » يرغب فى أن يعهد اليك بدور ، ولكنه عدل عن الفكرة لأنك لن تفترقى عن كلبك الا بعد ستة أشهر . بحق السماء ، متى يهلك هذا الحيوان البائس أو تصرعه سيارة . يجدر بك أن تشترى دبا عملاقا ، أو زرافة ، أو جاموسة ، أو كلب بحر .. أى واحد منهم يمكن أن يكون رفيقا لك فى جولاتك ، وهـــذه الحيوانات كلها أليفة ، وانكان الجاموس يفضل الأطفال السود . يمكنك اختيار « شـيتا » لأننى أنا شخصيا

ربيت قردا فى بيتى ..

« تطفأ الأضواء المسلطة على كامبل » ..

تواريت عن طريق « مالفن » هـذا العام ، ولـكن مسرحيتى الجديدة أحيت المهرجان . كانت تدور حـول « شارل الثانى » . زوجته . اثنان من العـاهرات . ممثلة اسحق نيوتن . مدير البيت وخادمه . الرسـام كنيلر . جورج فوكس . . وجيمس الثانى « دوق أوف يورك فى المسرحية » .

« تخفت الأضواء تدريجيا » ..

لقـد توقفت عن الانتاج .. لقد أصبحت مسنا . مسنا ..

ج . ب . ش

« ينطق كلمة « مسـنا » الثانية فى الظلام » ..

ستـــــــــــــار

يرفع الستار وتسطع الأضواء ، ويقف البطلان ليضعا الرسائل فى الصـــــندوق ، ثم يقومان بتغطيته وهما يتطلعان أحدهما الى الآخر ، وفى تلك الأثناء تسـدل الستار ..

كتاب الهلال القادم :

أعرف نفســـك

تأليف : الدكتور ادوارد سبنسر كولز

ترجمة : الدكتور أمير بقطر

عدد خاص

يصدر ٥ مايو سنة ١٩٧٨

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

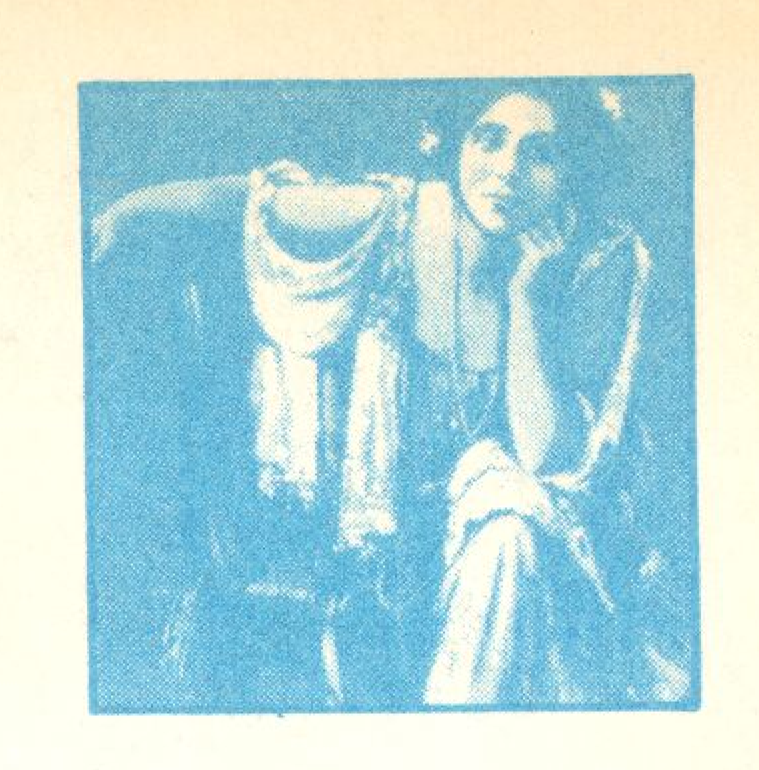
جدة ـ ص ٠ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.



هـذا الكتاب

كان الكاتب الايرلندى جورج برناردشو محبا رائعا بقدر ما كان ساخرا عظيما · واذا كان شو قد استطاع أن يترك بصمته في مجال السخرية اللاذعة فوق كل صفحات مؤلفاته ومن خلال قنوات أحاديثه ومأثوراته ، فان هذا الرجل نفسه كان يجيد لعبة الحب كلاعب ماهر يتفوق فى فن العزف على أوتار القلوب ·

وهذا الكتاب يروى واحدة من أكبر وأغرب قصص الحب فى حياة برناردشو ، وهى قصة حبه للممثلة « باتريك كامبل » · وكان كلاهما صاحب باع طويلة فى دنيا الحب · ومع ذلك فان شو قد استطاع أن يخوض هذه الجولة بمنتهى النجاح · وربما كان الشىء الوحيد الذى غاب عن الطرف الآخر هو أن شو قد خاض هذا الحب من أجل نجاحه الفنى · لقد كان حريصا على أن يضع نفسه فى قالب عاطفى حار حتى يستطيع أن يكتب مسرحيته « بيجماليون » بقدرات متفوقة فنيا وعاطفيا · ولما كان يملك أدواته الفنية ، فقد راح يبحث عن الحب حيث وجده فى هذه الفنانة !··

ولذلك فقد كان المؤلف المسرحى « جيروم كيتلى » [illegible] أوراق الحب المتبادلة بين قمتى التأليف والتمثيل ، [illegible] المسرحية الذى أطلق عليها اسم « حبيبى الكذاب » · [illegible] نلتقى معها بعد أن نتعرف على حياة برناردشو فى سطور [illegible] أن نتوقف أيضا عند حياته العاطفية ، وهى حياة عريضة [illegible] مثل حياة شو نفسه ·

١٥ قرشا